العنوان : كتاب رسائل في سطور

تأليف الشاعر والروائي : سعيد حبيشي

تاريخ موافقة اتحاد الكتّاب العرب ٧٣٥ لعام ٢٠٢١

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

كتاب

رسائل في سطور

سعيد بدر حبيشي

رسائل في سطور

مقدمة الكتاب

وأنا أخطُّ كلماتي الأولى في كتابة { رسائلُ في سطور} شعرتُ أنّي أقفُ على مسرحٍ يعجُّ بالمشاهدين ، وكأنّ بهم ينصتون لسماعي أنطقُ الحروف دون أن يقاطعني أحد، فأسترسلُ بالتعبير من أعماق قلبي لأخرج أفكاري الدفينة بصورة فنيّة حسيّة تعيش الواقع الذي أعيش ، وتعيش في نفسي ونفس كلّ من يقرأ وأعملُ على ترجمة حواسي بلغة عفويّة تعبّرُ عن صدقها في ترويض قلمي على تنفّس سعادة السعداء ، وأنين المحزونين ، فما الكتابة بالنسبة لي إلّا مرآة تتقلّبُ فيها مختلفات الصور التي تؤثر في نفسي ، وفي نفوس قرائي بدون تصنّع أو تكلّف ، فلا لنور يشّعُ بلا شمس تشرق ، ولا لآهٍ تصعد من الأعماق بلا نفس ضاقت بها الأحزان بما حملت ، وهذا ما يدفعني لأن أفيض على أسلاتِ قلمي لأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني بلا تصنّع حتّى لا ينصرف لساني لغيره ، ولا يظهر بما ليس فيه .

لقد استهواني شعر النثر الحديث واستهويته ، فصدر لي ديوانان :

{ ملحٌ على جسد } و { المسافرُ رقمُ أربعين } كما كان لي نصيب من صدور روايتي الأولى { فصول الذاكرة } .

وهنا أحبُّ أن أنوّه إلى أنّي لست من حفاظ اللغة العربية وثقاتها، لكنّني من عشاقها ومغرميها ، وآثرتُ أن لا أحرم نفسي من التمتّع بقراءة الأدب والشعر، فقرأتُ لكتّاب كثر، ولشعراء كبار خلّدهم التاريخ فكان لتلك القراءة أثرها الإيجابي في نفسي ، وقلبي ، وفكري ، وكتاباتي ، وها أنا ذا أضع بين أيديكم عملي الأدبي الرابع { رسائلُ في سطور} وما أردتُ بلوغه في كتابي : أن أتناول الذوق النفسي والفطرة السليمة معتمداً بذلك على العلم والمعرفة والقراءة والمحفوظات واللغة السليمة ، لأن من يجهل قواعد اللغة العربية وبلاغتها لا يعرف أن يكتب شيئاً في مضمارها .

عملي الأدبي { رسائلُ في سطور } : منثورات حكيمة وقصص واقعيّة علمتني إياها التجارب ، وهي حديث قلب خطّه قلمي ، ما إن تسمعه أو تقرأه حتّى تشعر أنّ كاتبه يجلس معك ويتحدّث عنكَ وإليك ، ولقد أعانني على كتابته أنّي لم أفتّش عن المعنى غير الطبيعي، ولم أترك صغيراً ولا كبيراً إلّا و أفضيتُ به إليكم، ولم أقيّد نفسي عن وضع وشرح البراهين المنطقيّة ، ولم أحمل نفسي على الكتابة،

فجلّ ما كتبته جاء بمحض الصدفة وتجارب الحياة .

تحيّتي لكلّ من له فضلٌ عليّ ، وله الأثر الباقي عندي .

سعيد بدر حبيشي

/٢٠٢١/٥/٢٨

قصص قصيرة

خيالٌ طفوليّ

كلّ صيف كنت أرافق أسرتي إلى قرية صغيرة تغفو على شاطئ البحر، نقضي فيها أيّاماً وليال ، كانت كلّما اقتربت الشّمس من البحر خرجتُ إلى الشاطئ أراقبُ أمواجه التي يتداخل بعضها ببعض مخلّفة زبدها الأبيض على الرمال كأنّها ترمي إلى الهدوء والسكينة بعد جهد من كفاحها ضد خصمها الريح .

كنت صغيراً وأحلامي تسبقُ صغري ما جعلني أشعر في نفسي بتلك اللذّة التي يستشعرها المتخيّلون في جمال البحر وسحره ، وبهجته وحسنه.

كنت أبتهج لسماع لحن السكون الذي يعزفه هديره فيخيّل إليّ أنّي في حضور مشهد بهيّ منظّم على إيقاع سجع القرار والاستقرار في صمت وهدوء ، وفيما أستأنس وأسترسل وكليّ آذان صاغية لسماع معزوفة السكون عبر الموجات الصوتيّة ،تنبّهتُ لجمع صغير من المخلوقات الغريبة العجيبة تمشي على الرمال في رتل منظّم حافظت فيه على حركات التناسق والاتقان والتناغم فيما بينها، وكأنّها هبطت من مواطن الخيال لتشاركني تلك اللحظات الفريدة التي ليس لها شبيه ولا نظير إلّا في نفسي الخالدة للحظات الراحة والهدوء لا يقيم فيها إلّا نفسي وأحلامي وبحري الذي يحملني إلى الخيال اللا محدود .

كانوا يتمايلون في مشيتهم شمالاً ويميناً ، قصار الطول ، سريعي الحركة، وجوههم مؤنسة ولطيفة، وابتسامتهم تزيل الخوف من الخلوة ، انتابتني رعشة خوف خفيفة لكنّي تماديت وأطلت النظر إليهم أكثر قبل أن أتخذ القرار الخاطئ، حتّى شعرت بالخوف يتملكني من غرابة ما رأيت ، انقطع صوت العزف، واختلاط ضحكاتهم بدأ يتسع ليحدث في نفسي ضجيجاً مقلقاً تحرّك نحو استرسالي فقصّ حباله ، ناديتُ أبي ليشرح لي ما تنطوي عليه هذه الرؤية من معان وأسرار، إلّا أنّهم اختفوا في لمحة كما يختفي البرق، نظرنا إلى البحر وهو ما يزال يتناوب على دفع الأمواج إلى الشاطئ ، أشرتُ بأصبع يدي الصغيرة وقلت : منذ لحظات مرّوا من هنا .. منذ لحظات ابتسموا لي .. أين ذهبوا ؟ لم يبق أمامي إلّا أن أغادر وأخلد إلى النوم ، وما زالت موسيقا الأمواج تعزف لحن الوداع على أمل اللقاء ، ما أجمل أحلام الطفولة !

وإنّا على أيّام الطفولة لمحزونون .

❁ ❁ ❁

الحكيم

كان لي صديقٌ يحبّ القراءة حبّاً جمّاً ، ويتأثر بالفلاسفة والمفكرين الذين يقرأ لهم تأثراً كثيراً ، يتطّبع بطباعهم ، ويتحلّى بسجاياهم النبيلة ممّا جعل المحيطين به يلقبونه الحكيم ، تعلّقت أفكاري بأفكاره حقبة من الزمن ، وانقطعت بعد هجرته للعمل في الخارج ، فلم أعد أسمع من أخباره بعد ذلك شيئاً .

افتقدت له ولحديثه كافتقاد البدر في الليالي الظلماء ، فغلبتني الوحدة واشتدت عليّ الحاجة لسماع حديثه العذب الذي كنت أتذوّق حلاوته في كلّ حضور له ، فقد أحببت منه صدقه وسلامة قلبه ، وصفاء سريرته ، ووفاءه ، وثقافته .

كانت ذكراه تدفعني دفعاً لإعادة قراءة رسالته التي تركها لي مرّات ومرّات حتّى حفظتُ كلماتها ، وفواصل جملها ، وإشارات التعجّب والاستفهام ، كنت أرى فيها فاتحة جديدة للحياة لما يهيم في فضاء بلاغتها من سعادة تفوح من لآلئ الكلمات والمعاني .

جاء اليوم الذي أترقبه من بعيد ، وصل الحكيم بعد غياب طويل ، وسمعت أنّه يرقد في الفراش من شدّة المرض ، دخلتُ عليه أزوره فلم أجد عنده طبيباً ، ولا صديقاً ، ولا خليلاً ، لم أجد الغرفة التي كنا نجلس فيها وأنا أصغي لصوته

وتعابير وجهه حين يحدثني عن ديكارت وسيبوه ، حتى المكتبة التي تعجّ بالكتب غطّتها سحب قَتَرة ، كلّ ما وجدته رجل ممدّد على السرير ينازع ساعاته الأخيرة وكأنّي دخلتُ المقبرة لأزور ميّتاً لا حيّاً .

قلتُ له ممّ تشكو ؟

نظر إليّ وشهق شهقة كأنّ أضلاعه تتساقط ضلعاً ضلعاً ، وأجابني بصوت واهن ضعيف :

لقد تمكّن منّي مرض فاسد فأفسد عليّ كلّ شيء ، حتّى أحلامي وآمالي ، فلسفتي ومبادئي ، لم أعد أصغي لنفسي أكثر من إصغائي لألمي الذي ينخر عظامي ، لقد تمكّن منّي حتّى أفسد تدبيري ، وخالف تقديري وغلب على قوتي كما يُغلَبُ على جسده كلّ مريض أفسده ذلك الخبيث ، حتّى ديكارت وسيبوه .. كبار الفلاسفة والحكماء تخلو عنّي ، لم أرهم ، وأنا أسلّم أنفاسي الأخيرة ، كتبي التي أمامك تختبئ وراء الغبار خوفاً من العدوى ، الجميع عافني إلّا أنت ، وحدك الصديق في السراء والضراء ..

وحدك الصديق وهم :

أخلاء الرخاء هُمُ كثير ولكن في البلاء هُمُ قليل
فلا يغرُكَ خلّة من تؤاخي فما لك عند نائبة خليل .

❁ ❁ ❁

اليتيم

ذات يوم خرجت هائماً على وجهي ، حائراً تائهاً لا أعرف أين أتجه بعد سماعي خبر سوء تلقّيته عن أحد الأقرباء، كانت الشّمس قد انحدرت إلى مغربها ، وبدأت أصوات المارّة تسكن إلّا أصوات صبية يلعبون ، وصوت حفيف أشجار الكينا يلهو فيها الهواء المتحّرك .

جلستُ على مقعد خشبي أراقب الصبية يركلون بأقدامهم الناعمة كرة القدم نحو أعواد صنعوها لتحلّ مكان مرمى الشباك ، لفت انتباهي صبيٌّ يجلس في زاوية منعزلة يراقب اللعب ، وفي عينيه شجن يلمع كوميض البرق في ليلة ظلماء ، ثيابه رثّة مهترئة ، شعره مجعّد وخشن ،حافي القدمين، اقتربتُ منه وأنا أقلّب نظري فيه ، فوجدت علامات البؤس والشقاء اشتدت على مظهره وتعابير وجهه ، والفقر استعذبه فعذّبه ، والحزن ضاق به ضيقاً فجعل بعض جسمه في بعض، أطلت النظر إليه ، وهو يبادلني نظرات الحيرة والارتباك ، وكأنّه ينتظر منّي أن أفسّر له نظراتي ، وأنا أشعر بالعجز عن قول كلمة في هذا المشهد المؤلم الحزين ، طويتُ نظراتي عنه ، ودنوت منه أكثر ،وقلت : لماذا لا تشارك الصبية لعبة كرة القدم ؟

إنّي أراك تنظر إليهم بشغف وحماس ، أجابني بصوت كسير :

لقد طردوني وسخروا منّي لأنّي فقير كما ترى .

كظمت غيظي ، وحزني وقلت : لا عليك يا بني لا عليك ، تعالَ معي نقصد ذاك البقّال أحبّ أن تشاركني الطعام ، ومن ثمّ نقصد المحلّ المجاور لبيع الألبسة الرياضيّة ، شعرت بأنّه كان ينتظر دعوة كهذه، وبينما نحن نمشي حيث نقصد مرّت بخاطري صور حزينة يعتصر لها القلب ألماً، صورة أرملة لا تملك من القوت ما يكفيها ويكفي أطفالها الصغار، صورة طفل يتيم يفترش الأرض أخذ من رصيف المارّة مضجعاً لينام على ضجيج صوت مزامير السّيّارات، و وقع أقدام المارّة ومرأى من أعينهم دون أيّ تعجّب أو تأثر ، صورة الشقاء المتراكم على وجه هذا الطفل الذي يرافقني إلى أمنيته الكبرى التي يقترب منها ليسدّ رمق جوعه ، ويرتدي حذاء يقيه من الأذى .

صورة أصحاب الأموال الوافرة الذين لا حاجة للتعريف بهم ، المنشغلين عن عمل الخير والتلذّذ بمتاع الدنيا ،الذين لا يشعرون بجوع البطون الخاوية ، ولا بآلام الفقراء الحفاة العراة .

أيّها الفقر : لِمَ أنت مستبدٌّ ؟

إذا أقمت في إنسان وقفت حائلاً بينه وبين شهيّته ، بينه وبين بهجته ، قلبت أحلامه البسيطة إلى أحلام صعبة المنال .

أيّها الفقر : أخبر السعداء المتخمين بالأموال أن يكونوا أسخياء على البطون الخاوية التي تشتهي الطعام ولا تجده ، أخبرهم أن يكونوا الدفء والكسوة للحفاة العراة ، أخبرهم أن يفرجوا كربات المكروبين ، فإنّ بين جنوبهم قلوباً إن أشرقت عليها السّعادة اليوم ، فلا يدرون متى تغرب ولا تشرق ، ومتى تقيم فيها الأحزان ، الأيّام دولٌ بين الناس .

❁ ❁ ❁

رسالة

كتب إلى والده يقول :

أكتب إليكَ ويدي ترتعش خجلاً ، ونفسي تجيش بالأحزان على أيّام مرّت من عمري ولم أصغِ إليك ، ولم أخلص لمشورتكَ حتّى أدركتُ متأخّراً أنّ الحياة التي كنت ألهو لأجلها تركتني خلفها ومضت .

أعترف أنّ كلّ ما فعلته في السابق كان نزوة شباب متهوّر دفّعتني ثمنها الغربة ، فحوّلتني من شاب يعيش في غنجٍ حصل على كلّ رغباته رغم فقر حالنا إلى شاب بائس فقير ، هاجر سعياً وراء مطلب العيش يقوتُ به نفسه ، العجلة تسرع يا أبي ، والكلّ هنا يجري ليلحق بها ، لا وقت للهو .. لا وقت لسماع النصيحة .. ولا وقت للانتظار .

من ينتظر يتجاوزه الوقت ولا أحد ينتبه إليه .

هنا الحياة مبرمجة على العمل ، العمل فقط ، ومن لا يحيا بالعمل يموت باليأس .

تزوّدت بقليل من كلماتك كي أستعين بها على عنائي لعلّها تخفّف عنّي بعض آلامي ، لا أريدُ أن أشقّ عليك يا أبي ، لقد أصبحتُ بعيداً عنكَ .

وما أحسبُ أنّي أراكَ في عهد قريب ، فما أعظم حاجتي إليكَ الآن ، وما أشدّ الظلمة الموحشة المحيطة بي التي أبعدتني عنك .

لقد تجرّعت كأس المرارة بعد الحلاوة ، وكلّ ما أرجوه اليوم أن تكون آخر أوجاعي أوّل لقائي بك .

❁ ❁ ❁

نومةٌ خفيفة

عشرُ ساعات من الانتظار مرّت ، وهي تثقلُ عليه بالهموم والأحزان واضطراب غير مسبوق ، بدأ يقلّب عينيه في كلّ مكان ، فلا يجدُ بارقة أمل تحطّ على مدرج الطائرة التي تقلّ زوجته ، ما جعله يشعر برعشة شديدة ملأت ما بين رأسه إلى أخمص قدميه حين سمع مكبّر الصوت ينادي :

الرحلة رقم عشرين ستتأخّر حتّى يوم الغد الساعة العاشرة صباحاً لعطل بسيط أصاب محرّك الطائرة .

خيّم عليه السكون، وارتمى على أحد مقاعد الانتظار يشعر بالتعب والإرهاق الشديد ، أخفض رأسه بين يديه ، وسرح بخياله حتّى يستوعب ما يحصل خلف السحب البعيدة التي تحمل إليه أفكاراً كئيبة تكاد ترديه في بئر تخيّلاته الحزينة، أصبح قلبه وحبّه وحنانه ونفسه وضميره وحياته مرهونين بالرحلة رقم عشرين .

يا لهذه الصدفة العجيبة !

عشرون عاماً مضى على زواجه من امرأته ، وعشرون ساعة سينتظر، ورقم جوّاله ينتهي بالرقم عشرين .

أهو محض صدفة ؟

أم أنّ القدر يحمل إليه مفاجأة ؟

هدأت عواصف تخيّلاته ، وغرق في سبات عميق من شدّة ما ناله من التعب والإرهاق جرّاء التفكير، فرأى أنّه اهتدى إلى طريق يشبه المستقبل الذي يريد، ودنياه التي يتنسّم فيها رائحة السّعادة والهناء، وإنّ الرقم عشرون الذي أرهقه ما هو إلّا تذكيرٌ بموعد عيد ميلاد زوجته المصادف اليوم بتاريخ عشرين .

استفاق على صوت زوجته تقدّم له فنجان قهوته المعتادة في تمام الساعة التاسعة صباحاً ، وهو ينظر إليها بذهول ، ويقول :

لماذا تأخّرت الرحلة رقم عشرين ؟! .

❁ ❁ ❁

الإخلاص

سمعتُ عن الإخلاص ، وجزاء المخلصين ، وسمعتُ عن الغدر ، وجزاء الغدّارين، مرّ في حياتي كثيرٌ من الناس، وتعاملتُ مع الكثير.

خطرت ببالي قصة الرجل الطيّب الذي تخلّى عن الرذائل ، وتحلّى بالفضائل ، والرجل الخبيث الكثير المكر سيّء الخُلق ، ما دفعني أنفضُّ عن الخبثاء ، ولو انفردت بنفسي وحيداً بلا ونيس ولا أنيس .

استيقظتُ فجر يوم من الأيّام على صوت خلاف بين رجلين أعرفهما معرفة قديمة، الأوّل : بائع خضار معروف في جواره بالرجل الصّادق المخلص لعمله وتعاملاته مع الناس .

والثاني : تاجر عقارات كاذب ومختلق لأقوال وأفعال غير صحيحة ما يجعله سريع الافتراء ،واتهام الأبرياء بما ليس فيهم من سوء حين يطالبونه بحقوقهم .

قام الأوّل بمطالبة الثاني بثمن خضار كان قد اشتراها منذ أسبوع ولم يسدّد ثمنها، فما كان من الثاني إلّا أن صرخ بوجهه أمام الناس متهماً إيّاه بالكذب ،أنّه سدّد ثمن الخضار في حينه ، الأمر الذي دفع ببائع الخضار أن يلاطفه ويقول له :

لا عليك " جلَّ من لا ينسى " ولكن الثمن ما زال مقيّداً على دفتر الديون ولم يشطب، فارتفع صوت الثاني ،واتهمه بالغش والسرقة ، حتّى تدخّل المارّة وفضّوا الخلاف بينهما ، وانصرف من حانوت البائع يحمل كيس خضار .

وبينما البائع جالس في حانوته جاءت دورية شرطة ، واقتادته إلى المخفر ، وهو يتساءل باستغراب ما الجرم الذي ارتكبه ؟

وأثناء التحقيق معه تبين أنّ تاجر العقارات قد ادّعى عليه أنّه باعه خضاراً تالفة غير صالحة للأكل ،وأتى بشهود أدلوا بشهادتهم أنّهم رأوه يخرج من حانوت البائع يحمل كيس خضار .

نال الرجل الصّادق من الرجل الكاذب ما نال من اتهامه ببيع خضار تالفة لأنّه طالب بثمن الخضار ، ولم يتخلّ عن مبادئه وإخلاصه وصدقه رغم ما لحق به من أذى ، فالمخلصُ ليس أوّل من أخلص في الأرض ، وليس أوّل من لقي مقابل إخلاصه وصدقه شرّاً ، فليس من الصواب أن يتخلّى الإنسان عن مبادئه في أوّل مواجهة له مع الشرّ، والكذب لا يخفي الحقيقة إنّما يؤجل اكتشافها .

❁ ❁ ❁

في الحانة

ويبقى النزاع قائماً بين الخير والشرّ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كان رجلٌ يتردّد كلّ مساء إلى حانة وسط المدينة، يجتمع فيها بعض المرابين، وبعض متعاطي الخمر، يجلس الرجل في زاوية منفردة، يتناول كأسه المعتاد حتّى وقت متأخر من الليل، ليخرج من الحانة مترنّحاً شمالاً ويميناً إلى أن يصل منزله قبل بزوغ الفجر بقليل ، يرقد في فراشه إلى منتصف النّهار.

في إحدى الليالي جلس الرجل ينتظر النادل أن يقدّم له مشروبه المعتاد ، تقدّم نحوه أحد الجالسين على طاولة في الجهة المقابلة ، واستأذنه أن يشاركه جلسته ليقضيا بعض الوقت في تبادل الأحاديث ، بدأ الضيف بالحديث دون توقف عن الحياة، وسعادة النفس ، والمال الذي يتحوّل أحياناً إلى وحش مفترس يخطف العزيز ويبقي الجراح تسيل ،وما تردّده إلى هذه الحانة إلّا ليتناسى آلامه وجراحه التي جلبها المال له من تعاسة وإحباط بعد أن أصبح وحيداً بلا زوجة ولا ولد ، لقد استدان من مراب مالاً لشراء سيّارة لابنه الوحيد البالغ من العمر خمسة عشر عاماً، وأثناء قيادته للسيّارة وبرفقته والدته تعرّض لحادث اصطدام بسيّارة أخرى فارق الحياة مع والدته .

ومنذ ذلك اليوم المشؤوم بدأ التردّد إلى الحانة يدخلها على قدميه ويخرج منها محمولاً غير مدرك لما يجري حوله ، لم يستطع المال شفاء آلامه ، ولا نسيان أحزانه كما يفعله هذا الكأس الذي يحمله في يده ، لذلك اعتاد أن يكثر من الشراب بشراهة حتى يغيب عن الوعي ، وهذا ما جعله زبوناً ثقيلاً على الحانة ، الجميع يتجنّب مجالسته .

ثمّ نظر إلى الرجل وهو يقول : أحببتُ أن أستأنس جلوسك ، سيّما أنّي أراقبك منذ فترة تجلس وحيداً شارداً ، تنظر إلى هذه النافذة المغطّاة بستار أسود لا يعكس حتّى ظلّك ، قلت في نفسي : إنّنا قد نتشابه في الآلام أكثر منه إلى السعادة .

بدأ الاثنان برفع كأسيهما تعبيراً عن الترحيب ، حتّى نطق الرجل بعد أن استمع لحديث ضيفه دون أن ينبس ببنت شفّة ، نظر إليه وهو يقول : حدّثتني عن السعادة والمال ، عن الآلام والأحزان ، وسأحدّثك عما أراه وأنا أمعن النظر لساعات طوال إلى هذا الستار الأسود الذي يغطي النافذة رغم أنّي لا أرى من خلالها مارّاً ولا عابراً أو ما سواه ، غير أنّي أرى شريط الأيّام التي مرّت في حياتي بعد تجرّعي الكأس الأوّل .

كنت أعيش عيشة هنيّة ، أعمل بالتجارة ، وأجني منها المال الوفير، إلى أن أدمنتُ هذا الكأس مع رفقة يرون أنّ الحياة تحتاج أن نغيب عنها بعض الوقت لندخل عالم اللا التزام . . عالم اللا واجب.. عالم اللا وعي . .

حتّى تماديتُ في إكثار الشراب وطلب المزيد، فضللت طريق الصواب، وانحرفتُ نحو الضلال الذي أفقدني سكينة نفسي ، وخسارتي لتجارتي رهناً للشراب والربا والقمار ، خرتُ أمام شهوتي ولذّة الكأس الأوّل ، فاعتدت أن أسير إلى هذه الحانة كلّ ليلة بتوقيت الشهوة لا توقيت الإرادة ،وأنا أحمل معي إرادتي المسلوبة بأن يكون هذا هو الكأس الأخير ، أطيل النظر في هذا الستار الأسود علّني أجد بصيص نور يخرجني من هذه العتمة المظلمة إلى النور ، وأعيش حياتي كما كنت قبل الكأس الأوّل هكذا أعيش يا صاحبي في صراع مع الكأس حتّى يصرعني .

❁ ❁ ❁

المعروف

خرج اسماعيل ذات يوم يتنزّه في بعض أطراف قريته ، شاهد رجلاً غريباً ليس من أهلها ، كبير السن ، تبدو عليه صورة النعمة ،وطيب العيش ، يجلسُ تحت شجرة كثيفة الأغصان امتدّ ظلّها ليحجب عنه أشعة الشّمس الملتهبة ، وإذ به يسمعه يدندن بكلمات لم يفهمها ، وهو يطرق رأسه إلى الأرض ، يمسك بيده عوداً من الأغصان اليابسة ، ينكشُ به التراب برفق، وكأنّه يرسم شيئاً ما ، تقدّم نحوه وحيّاه، فنظر إليه نظرة السرور كأنّه على موعد مع أيّ شخص ليحدثه عن مبتغاه .

جلس اسماعيل بقرب العجوز وهو يسأله : من أين أتيت يا عم ، وما حاجتك ؟

ردّ العجوز : أتيت من بلد بعيد أبحث عن شاب قد أسدى لي معروفاً منذ زمن ليس ببعيد لكنّي لا أعرف اسمه، ولا نسبه ، ولا رسمه، قيل لي أنّه من أهل هذه القرية الجميلة ، استغرب اسماعيل واندهش من طلب العجوز قائلاً : وكيف ذلك ؟

أجابه ، اسمع يا بني : أقيمُ في مدينة كبيرة تعجُّ بساكنيها ، وذات يوم نُقلتُ إلى المستشفى لتدهور حالتي الصحيّة ، كنت بحاجة لأن يتبرّع أحد لي بالدم،

وبالمصادفة سمع الخبر شاب كان يعاود مريضاً في المستشفى ، فتقدّم وتبرّع من دمه لأجلي دون أن يراني ، أو أراه حيث كنت أرقدُ في غرفة العناية المشدّدة، وبعد أن تعافيتُ ، وتحسنت حالتي الصحيّة ، سألتُ عن اسم الشاب الذي تبرّع من دمه لي ، فلم أتعرّف على اسمه، سألتُ المريض الذي كان يعاوده حينها فقيل لي : إنّه ليس من معارفه ، كان قد اشترى له دواء كون المريض لا يملك ثمنه ، ولم يفصح عن اسمه ، غير أنّه ذكر اسم قريته التي يعيش فيها ، ثمّ تابع يقول : قطعتُ مسافة طويلة حتى وصلتُ إلى هنا ، و يرافقني أمل كبير أنّه لا بدّ أن أجد ذلك الشاب الذي اختلط دمه الطاهر في دمي ، أليس جزاء الإحسان إلّا الإحسان مثله ؟

نظر اسماعيل إلى العجوز باستغراب ودهشة ممّا سمعه ، وانتفض واقفاً ، وهو يقول : يا إلهي .. يا إلهي ، قطعت كلّ هذه المسافة لتسأل عن الشاب الذي تبرّع لك من دمه ؟!

فعلاً الدنيا صغيرة مهما كبرت .

نظر إليه العجوز وعيناه تغرورقان بالدمع ، وهو يقول بلهفة : أتعرفه يا بني ؟

نعم أعرفه يا عم ، إنّه يقف أمامك الآن ، ويسمع لحديثك ، لم أفكر في حال من الأحوال أن نلتقي، لقد تبرّعت لك من دمي كواجب من واجبات الإنسان لأخيه

الإنسان ، ولم أكن أنتظر على ذلك ، جزاء ولا شكوراً ، تنهّد الرجل العجوز وهو يشعر بالسعادة قائلاً : ما أحوجني الآن إلى معانقتك يا بني !

لقد أخّر الله سعادتي منذ أن تعافيت إلى أن التقيتك ، الآن فقط أشعرُ أنّ السعادة لبستني كقميص أو معطف ، لقد كنت عوناً لي أثناء مرضي دون أن تربطنا معرفة ، من وقتها لم يثلج صدري حتّى رأيتك الآن ، ولن يثلج حتّى أراك ظافراً بالسعادة التي ترجوها ، لقد منحني القدر ابناً لطالما انتظرته ، الآن فقط أيقنتُ أنّ السعادة وإن تأخّرت لا بدّ ان تأتي .

قام الرجل العجوز الذي يعيش وحيداً بنقل أملاكه إلى الشاب اسماعيل ليشرف على إدارتها، وليساعد المحتاجين لتبقى الرحمة قيمة أخلاقيّة تعبّر عن تضامن الإنسان مع أخيه الإنسان .

❁ ❁ ❁

هذه قصتي

يقول : وصلنا منذ ثلاثة أيّام أنا وشقيقي، نزلنا ضيفين في منزل ابن عمي يوسف، شعرتُ بالغبطة والسعادة للقائه بعد ثلاث سنوات من الانقطاع لأنّه يعيش في الغربة ،لقد أخبرني أنّه اشترى تذاكر لنذهب سويّاً برفقته إلى حديقة الحيوانات بعد يوم غد، أدهشني منظر الأشجار التي تحفُّ منزله من كلّ جانب، قرية جبليّة تغفو على تلّة خضراء تهاجر إليها الطيور الجميلة النادرة ، لقد أعجبتُ إعجاباً عظيماً بهذا الهدوء الذي يخيّم على القرية حين يحلّ الليل ضيفاً عليها بعباءة مطرّزة بالنجوم المتلألئة .

جلستُ أخاطبُ القمر الذي أراه من مكاني هذا، وترينه حيث تكونين، أناجيه أن ينقل إليكِ مشاعري وأحاسيسي ، وما تميل نفسي إليه أن نكون معاً في هذه اللحظات السعيدة التي أعجز عن وصفها بكلمة واحدة .

لقد رحلتُ إلى بلاد بعيدة لأجلب المال الذي سيعيننا على تحقيق آمالنا وأمانينا رغم أنّ بعدي عنكِ حزنٌ لا يزول بمال الدنيا كلّها ، لكنّي سأعود إليكِ ظافراً غانماً ، لنقضي أجمل أيّام حياتنا.

بعد أن تجوّلنا في حديقة الحيوانات ، جلسنا على مقعد ، وجلس بجانبي ابن عمي وشقيقي ، شاهدتُ طفلين جميلين متأنّقين بلبسهما يركضان، زلّت قدم أحدهما فسقط على الأرض ، ركضت نحوه وحملته بين يديّ ، قمتُ بمسح بعض الآثار الخفيفة من الدم عن ساقه اليسرى، وإذ بوالديه يحضران ويشكراني على ما فعلته، سألني والد الطفل : من أيّ البلاد ، وماذا أعمل ؟

فهم الرجل أنّي هنا من أجل العمل ، فعرض عليّ أن أعمل في شركة سيّارات هو مالكها، فرحتُ كثيراً بهذا العرض، بدأت أشعر أنّ السعادة تقتربُ منّا أكثر فأكثر، وأنّ اللقاء بيننا بات قاب قوسين أو أدنى، وهكذا حتّى تمكّنتُ من كسب ثقة ربّ العمل ، واعتماده عليّ في بعض الأمور الخاصة، كما أمّنتُ عملاً لشقيقي في الشركة نفسها، وجنيتُ المال الكافي لشراء منزل في بلدنا يكون أنساً وسكناً لنعيش الحياة التي طالما حلمنا أن نعيشها .

أعددتُ كلّ شيء وهيّأتُ نفسي للعودة بعد قضاء سنتين في الغربة، وقبل العودة إلى بلدي بثلاثة أيّام ، جاءني رجل يعمل في الشركة ليقترض منّي ما جنيته من المال على أن يعيدها لي في الغد ، لم يكن الرجل ذا صفات سيئة ، كان دؤوباً مواظباً على عمله، الجميع يعرفه ، أقرضته مالي وأنا على يقين أنّه سيعيده في الوقت المتفق عليه، انتظرت يوماً . . يومين . . شهر ..

لم يأتِ الرجل ، اختفى كما يختفي البرق في السماء ، قبل الحادثة فسخت عقد عملي مع الشركة استعداداً لعودتي رغم محاولة ربّ العمل إقناعي بالبقاء، لكنّ شوقي إليكِ منعني ، الآن أعيشُ وحيداً أنتظر أن يعود ذاك الذي اقترض كلّ مالي وتعبي، ربّما أشكره على صنيعه ، أو ربّما أعفو عنه ، لقد كان سبباً برفع الستار الذي حجب عنّي الحقيقة قبل عودتي حتّى لا ترى عيني أنّ التي غادرتُ لأجلها قد تخلّت عنّي لتصبح زوجة لغيري، لقد تحوّلت آمالي وأمانيّ إلى بؤس وشقاء ، وما أكابده الآن في غربتي من شدّة وبلاء لم يكن في سبيل العيش فقط، بل في سبيل خيبة حبّي ، فما بكائي إلّا رحمة وإشفاقاً على الأيّام التي غامرتُ بها لأجلكِ .

عفواً يا صديقي هذه قصتي .

❁ ❁ ❁

الأمانة

كريم شابٌ نشيطٌ طموحٌ يعمل حتّى وقت متأخّر من الليل ، لجمع مهر يمكّنه عقد قرانه على خطيبته التي مضى على خطبتها خمس سنوات .

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، وهو يقود سيّارة الأجرة التي يعمل عليها أشار إليه أحد المنتظرين فتوقّف ، صعد الرجل ، وجلس جانبه ، كان مبلّلاً بماء المطر من رأسه إلى أخمص قدميه ،وضع كفّيه على فيه ، وبدأ ينفخُ فيهما من شدّة البرد فقال له كريم : اليوم درجة الحرارة منخفضة على غير العادة، سأشغّل المكيّف حتّى تشعر بالدفْ ، دار الحديث بين الاثنين عن الطقس وأحواله، وعن العمل ومشقّته، فالرجل يعمل نجّار موبيليا ، ويتعامل مع الخشب بحرفيّة عالية، ويحوّله إلى قطع فاخرة ثمينة، ولديه ورشة ومعرض للأثاث المنزلي الذي يقوم بتصنيعه، نظر إلى كريم وسأله : هل السيّارة ملك لك ؟

ردّ عليه : ليست لي ، هي لصاحبي أعمل إلى وقت متأخّر من الليل ثمّ أركن السيّارة بعد أن أعطيه ما جمعته وآخذ أجري ، فالحياة تستوجب علينا السعي لأجل أن نعيش حياة كريمة .

أعمل في النهار والليل لأجمع ثمن أثاث المنزل ومستلزماته

كي أتمكّن من الزواج بعد فترة طويلة من خطبتي لابنة عمي .

دار الصّمت بينهما إلى أن طلب منه أن يتوقّف قرب الصيدلية لأنّه يسكن في الجوار ، تابع كريم عمله وهو يتنقّل من شارع إلى شارع وسط هطول المطر الغزير لتوصيل الركاب حتّى وقت انهاء عمله ، توقّف أمام منزل صاحبها، وبينما كان ينظّف السيّارة من الداخل لامست يده كيساً تحت المقعد جانب مقعد السائق ، تفحّص الكيس ، فوجد فيه مبلغاً كبيراً من المال ، حاول أن يتذكّر من جلس جانبه ومعه كيس ، لم يستطع التذكّر لأنّ الركاب الذين صعدوا ونزلوا كثر بالأخص في هذا الجو الماطر حيث يكون مردود العمل لا بأس به .

لم يدخل كريم بيت صاحب السيّارة ، توّجه إلى أقرب مخفر شرطة ، وقام بتسليم كيس النقود دون أن يقوم بعدّها، فسجّل اسمه ، وعمله ، ورقم هاتفه.

في ظهيرة اليوم الثاني اتصل مخفر الشرطة يطلب حضور كريم ، شاهد رجلاً يستلم كيس الأموال التي سلّمها وتبلغ ثلاثة ملايين ليرة سورية ، نظر إلى وجهه، فتذكّر أنّه نجّار الموبيليا الذي ركب معه ليلة أمس ،كانت الفرحة تغمر عينيه، فقدّم الشكر للسائق على أمانته ، وأراد أن يعطيه مبلغاً من المال ، رفض كريم أخذها ، وهو يقول : الأمانة لا تباع ولا تشترى ، هذه أموالك وليس لي الحق فيها

نظر الرجل إليه وهو يردّد : حيّا الله هذه الأخلاق النبيلة التي تحافظ على المبادئ والأمانة ، أطلب منك طلباً واحداً فقط أن نكون صديقين ، ونتبادل الزيارات فيما بيننا .

وبعد فترة قصيرة قام كريم بزيارة صديقه النجّار في محل عمله ليتفق معه على سعر أثاث المنزل الذي استأجره سيّما أنّ يوم زفافه الأسبوع القادم ، استقبله ورحّب به ترحيباً كثيراً ، ثمّ جلسا يشربان الشاي ، ويتبادلان الحديث، قام النجّار بمرافقة صديقه إلى معرض الأثاث المنزلي في الجانب المقابل لورشة التصنيع، نظر كريم بدهشة إلى الأثاث الفاخر المصنوع بحرفيّة عالية ، واختار ما يلزمه لبيته الجديد واتفقا على السعر ، مدّ يده ليدفع سلفة مقدّمة ، فرفض أخذها منه حتّى ينقل له الأثاث إلى منزله عربوناً للصداقة التي جمعتهما .

وفي اليوم الثاني قام النجّار بنقل الأثاث إلى منزل كريم ، وترك له رسالة يقول فيها : إنّ الأمانة أعلى القيّم الأخلاقية التي لا تقدّر بثمن ، والصداقة المبنيّة على الصدق والأمانة عملة نادرة في بنك الحياة لا تصرفُ بشتّى العملات الماليّة،هذا الأثاث تقدمة من صديقك نجّار الموبيليا كهديه لدخولك الحياة الزوجيّة .

الحطّاب والثعبان

يحكى أنّ حطّاباً اعتاد مع طلوع الفجر الذهاب إلى الغابة القريبة من قريته لجمع الحطب ، وبيعه في السوق.

ذات يوم أثناء تجوّله بين الأشجار باحثاً عن الأغصان الغليظة الصلبة، شاهد ثعباناً أصفر اللون ، دقيق العنق، عريض الرأس، يزحفُ بخفية نحو فراخ العصافير في العش أعلى شجرة الحور، قام برميه بحجر حتّى يتنبه لوجوده، ويحيد عن الفراخ ، وبعد أن اطمئن على مغادرة الثعبان تابع عمله وهو يتنقّل بين الأشجار ، وإذ به يرى الثعبان يظهر فجأة أمامه ، ينظر إليه بعينيه اللامعتين، تغطي جلده الحراشف ، ليس له أطراف ، ولا أذنان، ولا جفنان، ولا منخران، يصدر صوت فحيح ثمّ ينسل ليمشي أمام الحطّاب ، وكأنّه يومى ء إليه أن يتبعه، وهكذا كلّما تنقّل الحطّاب من بقعة إلى بقعة ظهر أمامه فجأة ، احتار في أمره وأخيراً قرر أن يتبعه ليكتشف سرّه، مشى وراءه إلى أن وصل إلى مغارة تغطّيها الأشجار الكثيفة ، وعلى جانبيها أحطاب تكفيه لثلاثة أيّام ، فرح الحطّاب وهو يقترب من باب المغارة .

فسمع صوت فحيح الأفاعي يعلو كلّما تقدّم خطوة نحو الأمام ،

حينها أدرك أنّه وقع في فخّ الثعبان الذي أتى به ، وخدعه لينتقم منه شرّ انتقام ، عاد الحطّاب أدراجه وهو يقول :

من سار على درب الأفاعي لن يناله غير سمومها .

❁ ❁ ❁

عقوق

مرض الأب مرضاً شديداً، فأبرق لابنه الذي يعيش في بلد بعيد أن يعوده، فلم يفعل ولم يردّ على برقيّته، حزن الأب حزناً لم يسبق له أن حزنه من قبل ، لقد ترك زكوان والده يتقلّب على فراش المرض شهوراً عدّة ، وهو ينتظره أن يدخل عليه ليحسن وداعه قبل أن يفارق الحياة لكن ما من مجيب.

في ليلة من الليالي اشتد به المرض ، فانتصب على فراشه بصعوبة حتّى كاد أن يقع ، وهو ينادي بأعلى صوته ، أين أنت يا زكوان ؟

لكن ما من مجيب ، سقطت من عينيه دموع كثيرة وهو يقول : أحسبُ أنّ سكرات الموت سبقتك إليّ لتصلني براً من قسوتكَ يا زكوان .

قضي الأمر ، ومات الأب ، ولم يمش وراء نعشه سوى بضعة من جيرانه القريبين ، مرّت الأيّام ، وانقضت الأعوام ، عاد زكوان إلى بيت أبيه ، فلم يجد إلّا آثار الطفولة التي عاشها في هذا البيت الجميل ، دخل غرفة أبيه ،ودنا من سريره، وارتمى عليه وهو يبكي ، ويقول : سامحني يا أبي لقد شغلني اللهو، وفاتني أن أودعك، لقد خدعتني حياة التّرف، فأهملتُ واجبي نحوك ، مؤلمٌ عليك ما لقيت من العذاب قبل موتكَ ، وأنت تناديني ولم تجد بجانبكَ من يغمض عينيك .

اعلم يا أبي : أنّه حين وصلني نداءك وأنت تستغيث ، وتبكي شوقاً لرؤيتي ، كنتُ ألهو وأضحك ، حين كنتَ لا تغمضُ عينيكَ وانتَ تنتظرُ قدومي ، كنتُ لا أغمضُ عينيّ عن ملهاة وأنا أستمتع بما لذّ وطاب ، كنتُ أرقص على أنغام الموسيقا الصاخبة ، بينما كنتَ تصغي بكلّ حواسكَ إلى سماع صوتي خلف الباب آه لو أستطيع أن أبيع حياتي لأشتري بثمنها بعض أنفاس كانت تختلج صدرك حزناً عليّ علّني أتألم كما تألمت، ها أنا ذا اليوم أبكي على سريركَ كما كنت تبكي ، لقد انتقم القدرُ منّي ، لا أحد يسمع ندائي حتّى ولدي ، لأنّي لم أستجب لندائك ، القدر عادلٌ يا أبي : اليوم أدفع ثمن عقوقي أضعافاً مضاعفة ، وها أنا ذا أموت على هذا السرير الذي شهد موتك ، فإن صرختُ بأعلى صوتي لن تسمعني وأنت ميّتٌ ، ولن يسمعني ولدي و هو حيٌّ يلهو كما لهوتُ، وأسفاه على ما فرّطتُ في حياتي تجاهك يا أبي ، فالجزاء من جنس العمل .

خطوة نحو الجنون

بدأ الليل يرخي سدوله على أكناف الشاطئ ، أخذ رضوان يرتب قعدته قرب الصخرة الكبيرة يصغي إلى صوت ارتطام الأمواج ، أغمض عينيه ، استغرق في شعوره، وبدأ يسترجع شريط ذاكرته لتتراءى أمامه صورة حبيبته التي خطفها القدر قبل أن يقيما عرسهما، كان يناجيها ، يفضي إليها بأسرار نفسه، ومنذ أن فارقت الحياة اعتاد كلّ مغيب شمس أن يأتي إلى الشاطئ ويجلس وحيداً ، ويفضي ما في سريرة نفسه من أشجان وأحزان ، أحياناً ترنّ في أذنيه أصوات غريبة لا يعرف مصدرها، فيخيّل إليه أنّها أرواح تزور الشاطئ كلّ مغيب كما يفعل .

ذات جلسة، استغرق وقتاً أطول من المعتاد على الشاطئ حتّى صار الظلام حالكاً جداً ، أخذ يصغي لحديثه بصوت مسموع مؤثّر ، وكأنّه يقف على منصّة مرتفعة، وهو يقول : الوداع يا حبيبتي ، لقد عاهدتُ نفسي ألّا أنساكِ ما حييت ، كنتُ أخاف الموت لأجلكِ ، ولم أعد اليوم أخافه لأجلي، بل أصبح أمنية لقائي بكِ، لم يقم من مقامه حتّى جاءه طيف صوتها يردّ عليه : لا تحزن عليّ كثيراً يا رضوان، صوتك يصعدُ كلّ ليلة إلى السّماء فيه ابتهالات الرجاء بالعودة، فمن غادر الحياة لا رجعة له إليها .

انتفض من جلسته ، وهو يحاول أن يتّتبع صدى الصوت ، وكأنّ به طرفاً من مرض نفسي لا يحتمله عاقل ، صرخ بأعلى صوته : إنّي أتٍ للقائكِ لا تتركيني أسيراً لذاكرتي ولأشباح الماضي ، وبينما هو يتقدّم خطوة إلى الأمام، ويتراجع خطوة ، ويدير عينيه يمنة ويسرةً، ويصرخ : توقّفي . . توقّفي ، وإذا برجل عجوز يحمل بيده سلّة وقصبة طويلة لصيد الأسماك ، بدأ يحدّق النظر إلى رضوان ويقول : تقدّم يا بني لا تخف، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء ، هدّئ من روعك، فأمسكه بيده وجلسا ، أخرج من سلّته شربة ماء وسقاه، هدأ رضوان ، وأسند ظهره إلى الصخرة وعيناه تذرفان وقال بصوت حزين : لقد سمعتُ صوتها ، اعتدتُ أن أتلو عليها كلّ أحلامي وآمالي، وما زلت على عهدي غير أنّ الأحلام والآمال تغيّرت ، أخذت منحى آخر لا يصلح أن أعيش لها وحدي . . لا يصلح .

ثمّ غرق في الصّمت ، ردّ العجوز بصوت عطوف ، ووضع يده على كتفه وقال : اسمع يا بني لقد فهمتُ كلّ شيء إنّ الصوت الذي سمعته هو صوت شعورك، ووجدانك، صوت روحكَ ومناجاتها المتصاعدة إلى السّماء ، لا حيلة لنا في قضاء الله وقدره .

إنّي متعاطف معك ، وسأقدّم لك نصائح تخفّف من حزنك :

حاول أن لا تشغل نفسك بما يحزنك حتّى لا يزيد أضعافاً مضاعفة ، ولو نظر الأموات إلى ما نؤذي به أنفسنا لسألوا الله أن يعافيهم مّما ابتلينا به، إنّك تبالغ كثيراً في الحزن والرثاء، الحياة يا بني جميلة وجمالها يرفرف علينا ، ويتبعنا حيثما سرنا، لذا علينا أن نتمتّع بحياتنا لأنّنا راحلون ، ولن نأخذ معنا من متاعها شيئاً، اذهب ، فالحياة أمامك ، وليست وراءك ، وليس في هذا العالم من يعينكَ على أحزانك سواك .

الرحمة

لجأتُ إلى مضجعي في ليلة من ليالي الشتاء الطويلة الحالكة السواد، وأنا أستقبلُ أوّل إغفاءة من النوم ، هزّني نقرٌ على زجاج نافذتي ، تركتُ مضجعي ، فتحتُ النافذة، وإذا بعصفورٍ مبلّل بماء المطر يدنو منّي رويداً رويداً، حملته بين راحتيّ، وذهبت به إلى ناحية دافئة قرب المدفأة حتّى بدأ يتعافى من رعشة البرد، ويشعرُ بالدفء، قدّمتُ له بعض البقول البريّة ليأكل منها، وهو يحاول أن يفرد جناحيه كأنّه يتهيّأ للطيران، أخذ يتنقّل من مكان إلى آخر داخل الغرفة ليتلمّس النجاة ممّا هو فيه، وأنا غارق في النظر إلى تحسن نشاطه، عاد بي الزمن إلى رحلة قصيرة قمتُ بها لإحدى المنتجعات الصيفيّة التي لم تر عيني قط أجمل منها ، وأثناء تجولي في الغابة لمحتُ سرباً صغيراً من البلابل يلتفّون حول شجرة نضيرةٍ شديدة الخضرة، جلستُ على صخرة قريباً منهم أتأمّل بدائع المنظر، أصغي لتغريدها الجميل، وهي تعزفُ بإيقاع رتيبٍ يستميل القلب لحسن تراتيلها، لفت انتباهي استدارة بعض البلابل في حلقة ضيّقة على أحد أغصان الشجرة كأنّهم يشكون همّاً وألماً، تقدّمتُ نحوها، فتوقّفت عن الغناء، وعندما وصلتُ إلى الشجرة ، طاروا إلى غصن شجرة قريبة أخرى، وكأنّ بهم أمراً لا أعرفُ ماهيّته .

نظرتُ إلى الأعلى حيث كانوا يلتفّون ، فوجدتُ عشّاً تطلّ منه رؤوس فراخ لم ينبت ريشها بعد، ولا يقدرون على الطيران، وأنثى ذات ريش أحمر جميل ترقدُ جانب الفراخ بلا حركة، عزمتُ تسلّق الشجرة لأرى ماذا يجري في الأعلى، وحين شعر الفراخ باقترابي منهم تهيّؤوا لاستقبالي بفتح مناقيرهم لتلقي الطعام الأم أصابتها رمية صياد، فارتمت قرب فراخها تأبى أن تغادرهم، حزنتُ كثيراً وعلمتُ أنّ عزف البلابل ما كان إلّا بكاءً وألماً على فجيعة الفراخ بأمهم .

استدعيتُ أحد القرويّين ، فأشار عليّ أن ينقل الفراخ إلى منزله لإطعامهم حتّى ينبت ريشهم ويستطيعوا الطيران، صرتُ كلّ يوم أعاودُ القرويّ وأرى البلابل ينمو ريشها وتكبر ، وما إن مرّ شهر حتّى حلّقت في الفضاء تنعم بالحرّيّة .

وفي صباح اليوم الثاني توقّف المطر في الخارج ، وانتعش ضيفي العصفور، وعاد نشاطه بعد فتور جرّاء تلك الليلة الباردة، وبدأت الشمس ترسل أشعتها على خجل، فتحتُ النافذة، فانفرش النور داخل الغرفة ، نظرتُ إلى العصفور وهو يفردُ جناحيه استعداداً لانتهاز فرصة الطيران نحو الخارج علّها لا تواتيه في كلّ حين،

حلّق بعيداً دون أن يودعني حتّى غاب عن نظري، شعرتُ بهناء نفسي وفرحي يتناثران كما يتناثر عبير الزهر.

ارحموا الطيور ولا تحبسوها ودعوها تطير حيث تشاء في فضائها .

❁ ❁ ❁

على مشارف القرية

ماهي إلّا لحظات قصيرة حتّى وصل القطار في موعده المحدّد، الساعة الآن الثانية بعد الظهيرة، الشمس تنفث لهيبها الحارق بلا دخان، إنّه منتصف شهر آب أشدّ الأشهر ارتفاعاً للحرارة والرطوبة لقرب المدينة من سطح البحر،في طفولتي لم يكن شيءٌ أحبّ إليّ وأشهى إلى نفسي من أن آوي في أوقات قدوم القطار لأمتّع نظري بمرأى عرباته التي تلي بعضها البعض على نسق واحد، وتصاعد دخانه إلى الأعلى مع ارتفاع ضجيج صوته منبّهاً لوصوله .

نزل لقمان يجرّ حقيبة سفره الكبيرة، ولم يزل الحرّ آخذاً باشتداده ، احتضنته بشوق، وإذا بدمعة رقراقة تتلألأ في عينيه بعد عودته لأحضان بلدته الجميلة التي غاب عنها خمس سنوات بقصد دراسة المسرح في الخارج، اشتاق إلى تلك الجنة التي تحيط بمنزله على ضفة نهر ينتهي إلى البحر، وبينما نحن في طريقنا طلب لقمان أن نعرّج إلى الهضبة المطلّة على القرية من جانب ، وعلى البحر من جانب آخر، كنا قد اعتدنا أيّام الدراسة الثانويّة أن نجلس في الجهة العليا ونحن نستمتع بمنظر بساتين القرية وحقولها تمتدّ تحت الهضبة كرياض جميلة، نرى صنوف

أشجارها وألوانها وأزهارها وكرومها وأعنابها، وأكثر ما يعجبنا من تلك المناظر منظر أسراب الطيور الوافدة من أقاصي البقاع، تذكّرنا طفولتنا ومراحل العزائم والهمم ، تحدّثنا عن الشعراء والحكماء، ونظرتهم للشمس التي تشرق على هذه الطبيعة بالقوّة والحياة، غرقنا في الأحاديث ، والشمس دخلت أوّل الأصيل ، قال لقمان : لا أريد أن أحدّثك كثيراً عن سفري ودراستي فلا أحبّ أن يشغلني الاستمتاع بهذه المناظر البديعة التي كانت تعيش معي في كلّ حركاتي وسكناتي، لكن أريد تفسيراً لمشاعري التي أحسّ أنّها تنبتُ أزهار الفرح و السعادة في هذه اللحظات الهادئة ، لقد كان لفراقي قريتي تأثير كبير على نفسي ، شعرت رغم الحياة المليئة لكلّ متطلبات العيش حيث كنت أتابع دراستي أنّي أعيش في مقبرة موحشة، والآن شعرت أنّ ما قضيته في الغربة كان حلماً ثقيلاً وتلاشى ، فهل لهذه التربة وأشجارها وهضابها وجبالها وهوائها وبحرها وشمسها وأمطارها صلة في فياض شعوري وإحساسي بالحنين إليها ؟

قلتُ : بلى يا صديقي لو عرضت عليّ الدنيا بإغراءاتها على أن أتنازل عن شبر واحد من هذه الأرض ما فعلت غير آسف ولا نادم .

هذه الأرض الذي ولدنا ونشأنا فيها ، وألفنا ماءها وهواءها وظلالها وأفياءها، هي الحبّ الذي نحمله في سويداء قلوبنا أكبر ممّا تحمله أمهاتنا نحونا، فلا حياة للإنسان بلا حبّ ، ولا حياة له بلا وطن وانتماء .

وقفنا ونحن ننظر إلى السهول والغابات وأشار بيده إليها وهو يقول :

سيبقى هذا الوطن أحبّ المستقرّات إلى قلبي ما حييت ، ولن يفارقني حبّه قطٌّ حتّى اللحظة الأخيرة من حياتي .

❁ ❁ ❁

درس القراءة

في نفسي لهفة العودة إلى الطفولة، حنين إلى حقيبة المدرسة، ودرس القراءة للمرحلة الأولى ، أغلبُ الذكريات تنسى إلّا تلك التي ربطت أواصر صورها في أحلام طفولتنا ، { باسم ورباب} و{ عمي منصور نجّار} ما أحببتُ في حياتي كتاباً كما أحببت كتاب القراءة، بل ما اعتبرتُ هناك كتاباً بين الكتب غزل أحلام طفولتي سواه، كنتُ أتمعّنُ في صوره ، فلا أصدّق إلّا أنّها حقيقة تعيش في مفاصل تفكيري وخيالي الطفوليّ ، وأكاد أقسم أنّها من لحم ودم، فقد كانت تفيضُ بمشاعري وتسترسل بخيالاتي إلى أن أصل إلى بيت { باسم} وأسمع همس شفاهه مع أمه، وكانت لصورة جدّة { رباب } وهي تقصّ حكاياتها أثرها في إلهامي الكتابة، كنتُ أبصرها ، وأعيش مع أبطالها ، أتحرّكُ معهم ، وأجولُ في ماضيهم وحاضرهم .

ذات يوم شتويّ ذهبتُ إلى مدرستي التي قضيتُ فيها مراحل دراستي الأولى، وقفتُ في المكان الذي كنتُ أقف فيه أمام معلمتي لأنشد لها :

{ عمي منصور نجّار يضحك في يده المنشار } زادت نشوتي عندما طاف بذهني أسماء التلاميذ ، كلٌّ في مقعده يستمع لإنشادي، تأمّلتُ فيما حولي ، فخيّل إليّ لو سئلتُ عن محتويات الصّف ، وعدد مقاعده ، وأسماء طلّابه ، لقلتُ بدون تلكؤ : إنّي في الصّف الثالث الابتدائي .

من يصدّق أنّي تذكرتُ كلّ رفاقي ونظراتهم إليّ بعد مرور أربعين عاماً ، لقد عادت بي عربة الزمن إلى الوراء ، حيث أشتهي وأحبّ ، وكدتُ أقفز من مكاني وأصيحُ من الفرح ، لقد حدث ما لم أكن أتوقّعه، لقد وجدتُ مقعدي الخشبيّ الذي جلستُ عليه في الصف الثالث طيلة السنة الدراسيّة، جلستُ وعيناي تنظران إلى السبّورة ، أمسكتُ أنفاسي فرط الدهشة، وخيّل إليّ أنّي أصغي لمعلمتي وهي تشرح الدرس، شعرتُ أنّي أحتاج وقتاً آخر كي أبقى و لو نصف ساعة إضافيّة، لكن انقضى وقتُ رحلة الذاكرة وانتهى ، لكنّ ذكريات الطفولة ما زالت تتبعني كلّما خلوتُ إلى نفسي، وخلا النسيم يحمل همساتها ، ما أجمل أيّام الطفولة ! كلّ ما فيها مبهجٌ وسارّ .

❁ ❁ ❁

اليوم الموعود

إنّه اليوم الموعود، ليس كأيّ يوم آخر ،سكونٌ مشتبه فيه ، جاثمٌ على صدور طلّاب ينتظرون صدور نتائج البكالوريا، هدوءٌ يقطعه ضجيج هنا وهناك، وجوهٌ ناعمةٌ مستريحة ، ووجوهٌ خائفة ترقبُ السكون في حذر كأنّما هناك شيءٌ لا يُرى، ووجوهٌ تضحكُ بعصبيّة لا تخلو من الخوف، مشهدٌ من مشاهد يوم الوعيد ترتجُّ له القلوب، وتتحرّك للحصول على نتيجة مرضية .

مروان يحملُ الجوّال بيده اليمنى ، ينقر بسبّابة يده اليسرى بعصبيّة على شاشته وهو يسمع صوت نقراته، يتنقّلُ بين المواقع الالكترونيّة ، لتقع عيناه على موقع صدور نتائج الامتحان، كلّ الأشياء غدت ساكنةً مرتبكة حتّى الشبكة العنكبوتيّة تسير ببطء شديد على غير العادة .

في البيت أبواه وأشقاؤه كأنّما مسّهم هول هذا اليوم ، جهاز جوّاله انطفأ بريق بهجته ، لم يعد لطنين رسائله معنى ، توقّف هو الآخر عن تزويده

بالفرح عبر الرسائل الآتية من صديقته سلمى ، كان ينصتُ لطنينه بلهفة أكثر ممّا ينصتُ لمعلمه أثناء شرحه الدرس، دخل عليه أبوه في غرفته كي يخفّف عنه انفعاله وتوتّره وهو يقول : إن شاء الله ناجح يا بني ، لم ينبس بكلمة واحدة ، اكتفى أن هزّ رأسه ، وهو ينظر إلى شاشة الجوّال ويترقّب نتيجة المحاولة العاشرة لفتح موقع نتائج الامتحان لكن بلا جدوى .

خرج من منزله، ذهب إلى أقرب مقهى أنترنت وحالته العصبيّة تزداد توتّراً حتّى لا يصدم أهله بما لا يتوقّعون ، بعد نصف ساعة علت أصوات الزغاريد حوله، وضحكات الناجحين، حبس مروان الهواء في نفسه ، وضع رقم الاكتتاب في الخانة المحدّدة فظهر جانب اسمه علامة راسب، صمت في ذهول ،وضع يده في جيبه ، وأخرج قطعة قماش بيضاء اللون ليمسح عرق جبينه المتصبّب ، ثمّ أعادها إلى جيبه دون أن يمسح قطرة واحدة من العرق، سار في الشوارع من مكان إلى آخر لا يدري أين يقصد وهو يسخرُ من نفسه ،.

كلّ ما راوده في هذه اللحظة أن يصل إلى مكان لا يعرف فيه أحداً، أو يذوبُ نهائياً كما تذوب قطعة الثلج في هذا الطقس الحارّ، بدأ يشعرُ أنّ الشارع الذي يسير فيه يسخرُ من رسوبه، والمارّة الذين لا يعرفهم يسخرون من رسوبه، حتّى أغصان الأشجار التي تميل بفعل هبّات الهواء بين الحين والحين تسخر من رسوبه أيضاً، هو الآخر راح يسخرُ من نفسه ويقول : راسب ! وهل تتوقّع أن تنجح ؟ هذه نتيجة التقصير واللا مبالاة ، تمنّى مروان لو تظهر معجزة ،ويعتذرون عن رسوبه بالخطأ حتّى يكمل المشوار مع زملائه الناجحين ، تمنّى لو يحمله مركب في البحر إلى جزيرة مهجورة يكون فيها الناجح الوحيد ، راودته أفكار تلو الأفكار حتّى غابت الشّمس، وهو ينتقل من مكان إلى آخر هروباً من أن يصادفه أحد الناجحين أو أحد من الجوار ، ويسألونه عن النتيجة ، ماذا سيقول : راسب ! وهل نطق كلمة راسب بهذه السهولة ؟ وأخيراً قرر العودة إلى المنزل ليستريح من ضجيج التساؤلات والسخريات التي حدّث بها نفسه، وأن يقول لأهله بكلّ بساطة رسبت،

فليكن ردّ فعلهم ما يكون ، لست أوّل من يرسب .

أسكت هواجسه ،وأصرّ على إسكاتها ، حتّى شعر بالسكون يستقرّ داخل نفسه، ثمّ عاد أدراجه إلى البيت ، فكان أهل بيته قد علموا برسوبه، حاولوا الاتّصال به مرّات عديدة ليهدئوا من روعه وعصبيّته ،لكن جوّاله كان خارج التغطيّة ،استقبله والداه بهدوء وقالا له : لا عليك في السنة القادمة سيكون النجاح حليفك ، دخل مروان غرفته ،واستلقى على سريره من شدّة التعب والارهاق ، وهو يعقد العزم على أن يجتهد ويدرس في جدّ ونشاط ليحقق النجاح المراد .

شاطئ الذكريات

مرّت الأيّام ، ورست سفينة على أوّل مرفأ زمني صمّم لأن يكون أوّل نقطة عبور نحو النضج والرشد، بدأ حبّه يلمع في نفسه فيريه الحياة مشرقة وضّاءة، وكلّ شيء حوله ينمو دون أن يدرك بدايته ونهايته، خيّل إليه أنّه يعيش على أرض مسحورة بالجمال الذي يطوف على كلّ من يراه أو يصادفه.

أوّل ما بدأ حديثه قال : كنتُ شاباً يرى الحياة واحة أمنيات صغيرة ، إن أردتُ أن أقطف من ثمارها يلزمني جهدٌ ومواظبةٌ مستمرة لأنال القليل ممّا أرغب فيه، ومع ذلك كنتُ أشعر أنّ نفسي امتلأت بالرضى، لكن أمنيتي كانت تطمع للمزيد سيّما أنّي في سباق مع الزمن ، إلى أن غمرني الحبّ ، فأصبحتُ أرى الحياة أكبر ممّا كنتُ أتصوّر ، وأجمل ممّا كنتُ أراها ، كان ذلك حين جمعتني الصدفة بفتاة في حافلة ركّاب مزدحمة، كانت تقف جانب مقعد جلوسي ، وتميل يمنة ويسرة مع انعطاف الحافلة ، قمت من مقعدي ،وأفسحتُ لها أن تجلس مكاني ، رمقتني بابتسامة ناعمة وهي تقول : أشكرك على هذا الأدب الرفيع ، وأنا أنظر إلى عينيها خيّل أنّي أسبح في عالم مليء بالجمال والنشوة، تبادلنا بعضاً من الحديث بصوت

منخفض ، شعرتُ أنّي أقتربُ أكثر فأكثر من قلب الفتاة ، وأنّي وقعتُ في حبالها وغمرني الهوى في فيض من النعيم، اتفقنا على موعد نلتقي فيه للتعارف أكثر التقينا وبدأنا نقطف من واحة الأمنيات ، وكلّما شارفت على النقصان أينعت أمنيات أعذب وأحلى حتّى خرجنا ذات مرّة نتنزّه على شاطئ البحر في هدوء يبعثُ في النفس طمأنينة ، وفي القلب قداسة ، نظرت إليّ وهي تقول : حدّثني عن أمنياتك الآن ،فقلت : كان لي أمنيات كثيرة لا أعرفُ بداية لها ولا نهاية حتّى أحبّبتكِ ، فتجمّعت كلّ أمنياتي حولكِ ، وحين وصلت سفينة أحلامي إلى شاطئكِ الجميل ألقيتُ مرساتي ، عازماً البقاء ، ولا أنوي الرحيل .

نظرتُ حولي ،فلم أجد إلّا شاطئاً مهجوراً أغرقه التيار الجارف ، وسفينة غارقة أكل الصدأ مرساها، وذاكرة ما زالت تسبحُ حول مرفأها الزمني رغم تعاقب السنين ، أحياناً ينتابني شعور أنّ هناك شيئاً في الحياة يمكن أن ينسينا أحزاننا، ويذهب آلامنا بلمح البصر لولا أنّ الذاكرة تنتظرنا بين الفينة والأخرى في أماكن صمّمت لأن تكون المعبر إلى ذكرياتنا حتّى لو انطفأت نجومنا، وتحطّمت مراسي سفننا ، وغرقت مرافئنا .

صمت برهة ثمّ انتحى ناحية بعيدة عن الشاطئ ، وعيناه تلمعُ بالدموع .

❁ ❁ ❁

اليوم الأخير

عاد في الهزيع الأوّل من الليل إلى بيته، يحملُ في نفسه سحابة حزنٍ غطّت على مشاعر فرحه، رسمت على مُحيّاه كآبةً سوداء أرخت ظلمتها على كلّ حواسه، وحركاته وسكناته، أضعفت من حوله و قوّته ، حتّى الأشياء التي يمرُّ بها تحوّلت إلى حزن مرير، ويأس يمزّق كلّ بشرى ومسرّة كانت تمكث في قلبه ، وتتخذه مقاماً، فلم يعد يرى من الأنوار إلّا انطفاءها، ومن الحياة إلّا رمادها .

إنّ أعظم ما يؤلم الإنسان تـأجّج النار في قلبه، ومضاعفة الحزن في نفسه، كيف لا ؟ ومن قضى نحبه هو فلذة كبده، ففرحه انقلب إلى عزاء، وسعادته استحالت إلى شقاء، وأمله انتقل إلى رثاء، وزهرة قلبه انتهت إلى فناء، لم يعد ضجيج النّهار عنده خيراً من الليل ونحيبه، قلبه يضجُّ بالآلام ،فلا صوت يعلو صوت آهٍ تخرج من أعماقه وهي تمزّق بصعودها قلبه الذي بين جنبيه، انتهت التعازي ، وانصرف المعزون إلى أحوالهم .

دخل بيته ثقيلاً يخطو ببطء ، وقد أحنت الفاجعة ظهره، وضع يديه على خاصرتيه لتساعداه على الاعتدال في مشيته، وعيناه تفيضان بالدموع وهو ينادي بصوت

حزين منكسر : أيّ بني لماذا غبت عن استقبالي كعادتك ؟

ثمّ صمت برهة ، وهو ينظر إلى صورة ولده المعلّقة على جدار غرفة الضيوف ، رفع يديه إلى عينيه وأجهش بالبكاء ، بدأ الحزن الثقيل يدنو منه رويداً رويداً ، وكأنّه يزحف على الأرض زحفاً ، لم تحمله قدماه على الوقوف ، فارتمى على الأريكة منهكاً ، وهو ما يزال ينظر إلى صورة ولده البالغ من العمر عشر سنوات ، لم يزح نظره عنها، وهو يسمع صوته الرقيق العذب ، وابتسامته التي كانت تنير وجهه الطفوليّ ، وتنير قلب والديه ، كان كلّما سمع قرع الباب عند الساعة الثانية من بعد الظهيرة سابق أمه لفتحه مستقبلاً والده ، مقبلاً عليه ، فاتحاً ذراعيه ،وهو يقول : الحمد لله على السلامة يا أبي ، ماذا تحمل لي من مفاجآت ؟ كان كلّ يوم يأتيه بقطعة حلوى ، أو مجموعة قصصيّة للأطفال ، فيتهلّل وجهه بشراً وسروراً، كان يملأ حياة أبويه حبّاً وسعادة ، وكلّ أمنيتهما أن يشبّ أمام أعينهما ليصبح طبيباً كما كان يحلم، فالحياة بوجوده كانت ضاحكة لاعبة مرحة إلى أن قضى الله أمراً كان مفعولاً، مرض الطفل، وبدأت صحته تتهاوى يوماً بعد يوم ، لم يترك طبيباً إلّا عاوده إليه، ولم يترك مستشفى من مشافي المدينة إلّا نقله إليه، كان يرى حياة ولده تموت بين يديه ، ولم يستطع أن يفعل شيئاً ..

ذات مرّة كان يجلس على كرسيّ جانب سرير ولده في المستشفى ، ينظر إليه وهو غارق في نوم ثقيل بعد صراع شديد مع الألم أوقفته حقن مسكّنات ، كان لا يتحرّك حركة واحدة إلّا وشعر بألم شديد ، لم يستطع أبوه فعل أيّ شيء يخفّف عنه آلامه وأوجاعه غير أن يلقي رأسه على كرسيه الذي يجلس عليه ، وينفجر بالبكاء ، كان كلّما تكلّم مع الطبيب سالت مدامعه مع حروفه وكلماته ، وكأنّه ينشدُ مرثيّة محزنة، تعاطف الأطباء معه ، وكانوا يحاولون تسكين حزنه وخوفه إلى أن جاء اليوم الموعود .

بدأ الطفل يتوجّع توجّعاً شديداً ، لقد بلغت العلّة منتهاها ، فلم يعد يجد الراحة في قيام ولا قعود، ولم يعد يستسيغ الشراب ولا الحقن ، تسمّر الأب وهو ينظر إلى ولده يفقد القدرة على الحراك، وهو يرى في وجهه سكرات الموت ، وروحه البريئة تصعد إلى السّماء ، شيء ما دفعه لأن يرتمي نحو ولده ويضمه إلى صدره ضمّاً رحيماً ، كأنّه يرجو ملائكة الموت أن تستعيض بروحه ،وتبقي على روح ولده الطاهر البريء حيّاً ، لكن لا جدوى قضي الأمر .

ثمّ ما لبث أن شعر بيد ولده تتراخى وهو يلفظ آخر أنفاسه الزكية ، لقد مات ، وكان آخر لحظات عهده في الحياة أن نظر إلى أبيه وهو بين أحضانه نظرة طويلة مليئة حزناً ودموعاً، اختنق الأب وهو يتذكّر مشهد وداعه الأخير لولده الوحيد وارتعد ارتعاداً شديداً ، فسقط مغشيّاً عليه ، أصبح طريح الفراش يضحك تارة،

ويبكي بكاء الثاكل المفجوع تارة أخرى ، وهو يقول : مات سعد أبيه ، والآن ينام في حفرة موحشة مظلمة ، لا أنيس فيها ولا ونيس قبل أن يرى شيئاً من آماله وأحلامه ، وها أنا ذا أحيي ذكراه بعد أن انقطعتُ عن كلّ شيء بيني وبين يومي وغدي ، فرغت ذاكرتي من كلّ شيء إلّا من فاجعتي بسعدي ، وها أنا ذا أنتظر الموت أن يلحقني به على عجالة .

❁ ❁ ❁

أقبلتُ أرمي التحية على ورودكِ البيضاء ، وأقدّم اعتذاري لصباحكِ المشرق الوضّاء، وأدنو منكِ قليلاً كي أحظى من العطر والجمال ما استطاب لروحي السّعادة والهناء

❁ ❁ ❁

الصّباحُ موكب عرس حسناءَ يشرفُ من نافذة السّماء ،يطلُّ بأنواره ليبدّد السحب السوداء ، يشرقُ في الأنفس الحزينة ، فيزيحُ عنها ظلمات الهموم والأعباء .

❁ ❁ ❁

الصّباحُ يهبكَ راحةً متجددةً تجولُ في ميدان نفسك تحيي ميتَ الأمل فيها لتملأها رحمةً وحناناً ، وكأنّك تهيم في عرض الفضاء تسبحُ مع النور لتفيض السعادة بك متفرّدة في معزل عن صخب وضجيج هذا العالم الموحش ، هي لحظة تأمّل لا تدعها تمرّ دون أن تمكّن فيك العزيمة والطاقة في آنية واحدة .

❁ ❁ ❁

انوار الصّباح متشابهة ، لكلّ منها لون ، وجمال ، وأثر ، كأنّ كلّ نور يطلع هو نفس جديدة تخرج من شوائب الحياة وكدرها لتكون أكثر قوّة وصفاء .

❁ ❁ ❁

الصّباحُ إحساس جميل يفهم على أوجه مختلفة جميلة ، ومعان متشابهة لكنها أكثر جمالاً ورقّة ، وبين الإحساس والمعنى خاصتان :
كلّ خاصة تفسّرُ بما يلبسها من بلاغة المعنى ، وصفاء القلب .

❁ ❁ ❁

وراء كلّ صباح جاذبيّة من الألوان ، والسرور ، والانشراح في الأرواح المثقلة من كدر الظّلام والظلمة ، تسطع كلّها بثوب جديد إن أردنا أن نرى الأشياء الجميلة على حقيقتها .

❁ ❁ ❁

إنّ للحبّ حكماً على النفوس ، فهو الوليّ على القلوب، وحقيق العقول ، يبيحُ الغرام ، ويحلّ الممنوع ، فكم من محبّ غلبه الحبّ ، وهو لا يملك لنفسه صرفاً ، ولا تسريحاً .

❁ ❁ ❁

حين نفقدُ شيئاً عزيزاً علينا، فإننا نجدُ لهذا الفقد معنىً عظيماً لم نكن نشعر به من ذي قبل ،فالحليمُ لا يتألّم إلّا بألم العبرة، والجاهلُ من يتألّم بألم العجز والكسل .

❁ ❁ ❁

بعض الذكريات تفرض حضورها بقوّة تأثيرها علينا لا لفقداننا التوازن بسبب سطوتها ونفوذها، بل لأنّها القاسم المشترك فيما بيننا .

❁ ❁ ❁

فتّشتُ عن الجمال في حديث الناس ، فوجدتُ أجملهم من حفظ لسانه عن جميع الناس .

❁ ❁ ❁

السعداءُ هم القانعون الذين لا يشكون همّاً، ولا يحملون في أنفسهم حقداً ، ولا يستشعرون خوفاً لأنّهم مطمئنون .

❁ ❁ ❁

جميلٌ . . . أنيقٌ . . . لطيفٌ . . . طاهرٌ ، كلّ من يدفعه الحبّ إلى الخطيئة ، ويمنعه الحياء .

❁ ❁ ❁

يخيّلُ للطائر أنّ الأرض تقاتلُ السّماء ، فهذه ترميها بالقذائف والنبال ، وتلك ترميها بالنيازك والشهاب .

❁ ❁ ❁

في أعماق نفسي اضطرابات لا أعرف مذاهبها ، تمنعني ممّا احبّ وأشتهي ، وتحجبني عن أملي المشرق الذي كان يتراءى في سمائي، تحملني إلى النوم هروباً من واقعي .

❁ ❁ ❁

يمجدونكَ بطيب العيش ونعيمه ، ويهجرونكَ إن أغلقتَ خزائنكَ عن جشع البطون.

❁ ❁ ❁

الطّيّبونَ وحدهم المعونة الصّالحة للبرّ والإحسان ، فإذا مشوا إلى الخير مشوا مندفعين ،وإذا وقع نظرهم على بائس حزين كان نصيبه منهم الرحمة والإحسان الكريم بلا مقابل ، الطّيّبونَ وحدهم إذا انصرفوا تركوا الأثر الجميل .

❁ ❁ ❁

دفعني الفضول للنزول في ميدان ما تكتبون ، فلمّا فرغتُ من القراءة تعثّرتُ برفع المنصوب، ونصب المرفوع ، حتى عدتُ إلى لغتي ، وأنا أدركُ شؤم ما يكتبون ، ليت شعري ، لا يقبّحُ الكتابة إلّا حشدَ قومٍ يعجبون ولا يقرؤون .

❁ ❁ ❁

العلمُ فضيلةٌ، والوفاءُ فضيلةٌ ، لو اجتمعتا بالناس لرأيت بهجة الحياة ، وزهرة العمران أثمن قيمةً ، وأنعمَ عيشاً لهذا العالم الناطق .

❁ ❁ ❁

من الإنصاف أنّ الحياة التي تكرهها لنفسك لا تحبّها لغيركَ، واليد التي تمدّها لغيركَ لن تتخلّى عنك .

❁ ❁ ❁

أنا الأوّل بالشوق ، الأوّل بالحنين ، الأوّل المحكوم بالألم ، فمتى يا عمري تأتين ؟

❁ ❁ ❁

الصّديقُ الصّادقُ .. الطّاهرُ . . النّزيهُ لا يكذبُ ولا يخونُ ، لا يحملُ حقداً ولا كرهاً ، لا يحدّث نفسه بغير ما يحدّثُ به الناس .

❁ ❁ ❁

ما أظلمَ قساة القلوب من بني البشر ،يغرقون في النوم على أرائك من الحرير ، ولا يقلقهم أنين جائع أو صيحة فقير .

❁ ❁ ❁

أحسن إلى الفقراء والبائسين ، فقد أحسنَ الله إليكَ أن جعلكَ أكرم مخلوقاته، فلو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا فقير .

❁ ❁ ❁

آهٍ من سيل الزّمان لا يرحم ولا يبقي ، أيّها الحبّ قاوم واستقرّ، ولا تنجرف في السيل ، أيّتها الودودة عودي ، أيّها الصّديق ابق كما أنت .

❁ ❁ ❁

لولا الصداقة لكانت حياة الإنسان أشبه بصحراء قاحلة تلعب فيها الرياح .

❁ ❁ ❁

ثمّ تنقضي الساعات ، وتنقضي الأيّام ، وينقضي معهما العمر، ونحن نعيش الخوف الذي لا حدّ له ولا قرار ، الخوف من أن نسرف كلّ ما تبقّى لدينا ، ونحن عاجزون عن فصل الألم عن الأمل ، والسّعادة عن الشقاء .

❁ ❁ ❁

كلّ بغض يرافقه حبّ ، كلّ خوف يرافقه أمن ، وكلّ شقاء ترافقه سعادة ، فلا تبتئس ، الحياة لا تخلو من خشونة ترافقها ليونة .

❁ ❁ ❁

لا شيء يستحق أن نحزن لأجله ، علينا أن نقاوم جحافل الذكريات الحزينة ،وأن لا نخضع ولا نستسلم لماض ولّى ولن يعود ، كلّ صعب سيهون .. كلّ صعب سيهون .

❁ ❁ ❁

الغريزة أقوى من العقل ، والفساد أعظم سلطاناً على نفوس البشر من الخير .

❁ ❁ ❁

الحياة جميلة تفيض علينا بالجمال لندرك حقيقة وجودنا ، وحاجتنا للامتلاء بالأفراح ، واستفاضتنا بالسرور .

❁ ❁ ❁

في النهاية كلّ عاصفةٍ لا بدَّ أن تقتلعَ الجذور الضعيفة .

❁ ❁ ❁

وحدها من أرتني جمال الشعر في خيالاتي ، وجعلتني أكتب من وحي جمالها المتنزّل على قلبي ، وحدها من أبدعت محاسن الحبّ فيني .

❁ ❁ ❁

الكاتبُ المفكّرُ هو الإنسان الملهم الذي يحيي الحبّ في كتاباته ، فلا يجمعُ حبّاً مع بغضٍ ، ولا يجمعُ صدقاً مع نفاق ، ولا يجمع ودّاً مع كره .

❁ ❁ ❁

استقبلِ الحياة بالرضى ، وانشغل عن كلّ ما يوسوس لك بالشرّ ،ويلقي في النفس اليأس والقنوط ، إنّ العمر ساعةٌ ، والحياة لا تمنحكَ القوّة وأنت تقابلها بصورٍ من صور الضعف ، واضطراب المزاج .

❁ ❁ ❁

لا تجعلوا لليأس سبيلاً إلى أنفسكم ،فوراء كلّ ألم تختفي مسرّة ، ووراء كلّ سحبٍ داكنة شمس مشرقة .

❁ ❁ ❁

نستطيع أن ننسى كلّ ماض أوجعنا ، أو خيّب آمالنا وظنوننا ، لكن كيف لنا أن ننسى

حبّاً جمعنا ، وألّف بين قلوبنا ، ثمّ مضى وما زال جرحه حاضراً فينا .

❁ ❁ ❁

إنّ لنافذة ذاكرتي أبواباً ، إن أغلقت حجبت عني حتى الضوء إلى النفوذ إليّ ، إني يا صغيرتي لا أحتاط حين أناجيكِ ، ولا أقلقُ حين أفضي إليكِ من أسراري ، إن قلت : أحبّكِ ، فإنّ من أيسر الحبّ أن تدعيني لما أحبّ . . تدعينني لنفترش الأرض ، ونملا الفضاء مرحاً وحناناً إلى أن يتقدّم الليل ، ويخلو كلّ منا إلى ذاكرته غارقاً بما حمل من سعادة تحفظ التاريخ ، وأسماء مفاتيح الذاكرة وأسرارها .

❁ ❁ ❁

في المرأة أشياء كثيرة تجذب الرجل ، فإذا أحبّها لا يستطيع أن يميّز بين الجميل والأجمل ، تأتيه الفتنة من حيث يدري ولا يدري ، من حيث يرى ويسمع ، كلّ الأشياء في المرأة تبرق دفعةً واحدة كشعلة نور لا يطفئها غير تبلّد الفهم .

❁ ❁ ❁

كانت رغبتي أن أعيش لكِ ، وأقدّم إليكِ أفضل ما يجعلكِ سعيدة لأكفّر عن سيّئتي التي بقيت في ماض لا أسف عليه ، ماض أبى أن يدعني أعيش مبرّأ من الذنب ، فأراد أن يقتصّ مني ويحرمني رغبتي ، فقضى عليّ وعليكِ في آن واحد .

❁ ❁ ❁

ما لي أراكَ أصبحت لا تجدّ لذّة العيش في هذه الحياة ، ولا تهنأ بضجعة الموت ، حاول أن تتجنّب عقبات الخيبات ، وأن لا تسقط سقطةً تشقى بها ما دمت على قيد الحياة ، إنّكَ راحلٌ ولست بمقيم .

❁ ❁ ❁

الغرورُ يفسدُ الإنسان ، يأخذه من عقله ، يقبضُ على رأيه ، ويهدمُ كلّ حواسه .

❁ ❁ ❁

لا تكن متقلّباً بين الرضى والسأم ، تقف على حدود الأشياء ولا تتجاوزها ، فكلّنا بحاجة خطوة نجتازها في طريق الحياة .

❁ ❁ ❁

إنّ الحنين في حقيقته معنىً من معاني الحياة ، فعلى قدر الحنين على مقدار ما يؤثر في النفس البشريّة ، فمن الحبّ ما هو حسنٌ ، وآخر نتعلّق به بشدّة ، ومنه ما نجنّ به جنوناً وهذا ما لا نجده إلّا مرّة واحدة في جنون الحبّ .

❁ ❁ ❁

وراء كلّ ألمٍ لذّةٌ أو عبرةٌ أو منفعةٌ ، بالتناقضات نتألّم ونفرح ، وبالتناقضات نصبح أكثر نضجاً وحكمة .

❁ ❁ ❁

السعادةُ أن يتفقَ السرور مع الحبّ في تصوير الحياة بمن نحبّ .

❁ ❁ ❁

الإحسانُ عاطفةٌ كريمةٌ من عواطف النّفس البشريّة ، ليس رياءً ولا نفاقاً ولا خديعة لاصطياد الفقراء .

❁ ❁ ❁

دمعةُ الرحمة تؤلم النفس ، وتملؤها غصّةً وأسى ، كم من غصّة آلمتنا منذ الولادة إلى يومنا هذا !

وكم من دمعة ما زالت تخنق أصواتنا بالبكاء !

❁ ❁ ❁

قد أفلس رجلٌ اعترف لامرأة بكلّ شيء ، ثمّ عاد ليقامر ويضارب بما بقي له من عتاب أثقل عليه فيه .

❁ ❁ ❁

كلّ ألم تحملناه سينتهي ، كلّ أمل انتظرناه طويلاً سيأتي ، كلّ سجع عزفناه بإيقاع الدموع سينقضي ، كلّ اسوداد طويل أفسد صفونا سينجلي ، فلا نفقد التوازن في انخفاض وارتفاع ، فكلّ الآمال طموح إلى شفاء .

❁ ❁ ❁

الحياة تمتحننا بها ، بعض من الحبّ ، بعض من البغض ، بعض من الأمل ، وبعض من اليأس ، ولنكنْ على مسافة قريبة من الأمل علينا أن نترك اليأس يتحطّم عليه البغض والغيظ حتّى نشعر بالسعادة واهتياجنا لها .

❁ ❁ ❁

في وقت من أوقات الحنين إلى الماضي ستبدو كأنّكَ محاصرٌ بين تلك الجدران الأربعة التي رأيت فيها من تحبّ ، فلا عجب أن يشرق من بين ضلوعكَ ، أو يخطر في سماء عمركَ من ابتسامتك المشرقة ، فأكثر ما ستجدنّ نفسك في تلك الصفات المجسّمة التي تعكس حالتكَ المتقلّبة حبّاً للحياة ، أو بغضاً لها، شوقاً إليها ، أو تراخياً عنها ، في أكثر الأحيان قد يكون خروجكَ عن المألوف هو سعادة على وجه آخر .

❁ ❁ ❁

كثير منا يطمح أن يبتعد عن الغمام المتحرّك في حياته ، لكننا غالباً ما نفشل ، لأنّ زيادة البغض وزيادة الألم في أنفسنا تمنعنا من كبح اليأس ، وتعيدنا إلى صراع فيه البغض هو المنتصر دائماً .

❁ ❁ ❁

اكتبي لي على كلّ حال ، فكلمات الحبّ تسعدني أيّاماً طوالاً ، لأنّ هذي الحياة لا نملك ما نستعين على عيشها لولا الحبّ الذي يكشف عن أنفسنا ظلمات هذا الكون.

❁ ❁ ❁

هفوةٌ من هفوات الماضي الصغيرة في نفس كلّ واحد منا ، ما زال أثرها يرافقنا من زمن إلى زمن ، ومن حقبة إلى حقبة ، وملامحها تتراءى في صورة رسمها الماضي قبل أن ينام ، فهل الذكرى وفاءٌ للماضي وإخلاص له ؟
أم أنّها عزاءٌ تنهض من حين إلى حين لمنزلتها في هذا القلب الطّاهر الشريف ؟ .

❁ ❁ ❁

حيث يكون قلبك لا ينبغي أن تغيب عنه مظاهر الجمال ،لأنّ كلّ لحظة تأمل واحدة هي لحظة حبّ وصلاح .

❁ ❁ ❁

ما تحتاجه حتّى تكون مطمئناً أن تبقي على السرور مناصفة بينك وبين خصمك ، بينك وبين من كان عزيزاً في ماض ولّى ولم يعد لكنّه ترك أثراً جميلاً ، والجميل لا يتلاشى أمام الرياح العابرة ، هذه ليست فلسفة هدوء بعد غضب ، لكنّها حقيقة تولد مع الحياة ،ولو تركت أثراً مع الرحيل الأخير لكنّها لا ترحل .

❁ ❁ ❁

قلتُ : كيف يكون لحبّكِ سلطة عليّ ؟

قالت: سل نفسكَ كيف لكلمة منّي تجعلكَ تقترب وأخرى تبتعد ، وأنتَ ما زلتَ مكانك ؟

قلت : هل الرغبة التي تسكن قلبي يقينٌ يبطلُ كلّ شكٍ أنّي منقاد ، منقادٌ نحو خيال مستحيل لا مكان له إلّا في هذا القلب الصغير ؟

قالت: وهل الرغبة إلّا حكم من أحكام الشوق النّافذة على القلب بالإغراء ، يشتهي ويريد ، يطلبُ ولا ينال .

❁ ❁ ❁

لا شيء يلمسُ القلوب مثل ما يفعلُ الجمال ، يفيض بها حبّاً واشتياقاً ، وكأنّها تسبح في أفلاك السّماء .

❁ ❁ ❁

الجامدون المتبلّدون وحدهم من يدورون في الحياة حول أنفسهم ، ولا يحفلون بشيء من الذاكرة .

❁ ❁ ❁

امتلأت نفسي فشعرت أنّ الكون امتلأ غراماً من غرامكِ ، فليس لي منفذٌ إلى نفسي غير حبّكِ .

❁ ❁ ❁

كلّ عبور يلزمه الحذر وتحمّل المشقّة بالصبر والجلد .

❁ ❁ ❁

إنّ السفر في رحاب الحبّ ما هو إلّا عاطفة عزّ في سماء السعادة التي لا سماء فوقها .

❁ ❁ ❁

لو التقينا مرّة ثانية بعد فراق طويل سنتعارف بأحزاننا ، ونتكاشف بإعجابنا ، ونفترق ثمّ نعود ، وفي عينينا أحلام رهيبة غامضة ، التاريخ يعيد نفسه ثمّ يختفي ، ثمّ يعود فينا .

❁ ❁ ❁

وراء كلّ سرور ابتسامة ، أزح اللثام وحرّر آمالكَ وأمانيكَ ، لعلّ السّعادة كامنة فيك .

❁ ❁ ❁

الإنسان قادر على تذليل كلّ عقبة في هذا العالم المرئيّ لكنه يعجز عن فتح باب الغيب المملوء بالأسرار والمفاجآت غير المتوقعة .

❁ ❁ ❁

لا سرور في منزل لا تزوره الابتسامة ، ولا تنيره السعادة ، لا تسكنه المودّة ، ولا تطرق بابه المحبّة .

❁ ❁ ❁

المعطاؤون المتواضعونَ لا ينتظرون الثناء ، ولا ينتظرون المديح ، لأنّهم ينعمون بنعمة الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء .

❁ ❁ ❁

الحياة دار ضيافة كلّ لحظة تستقبل زائراً جديداً ، وتودّع ضيفاً عزيزاً ، كن الأثر الجميل الذي يسعد الزائرين ، ويطمئن المودّعين .

❁ ❁ ❁

علّمني الحبّ أنَّ تفسير كلّ نظرة منه هي تفسير قلبيّ ، إمّا ممزوجةٌ بالفرح والألم، أو بالحنين والمجافاة .

❁ ❁ ❁

الصّبرُ نعمةٌ عظيمةٌ ترهقنا بالأثقال ، وترفع عنا الأوزار ، الصابرون وحدهم من يستشعرون لذّة السّعادة بعد الشقاء .

❁ ❁ ❁

تتهادى القلوبُ إلى القلوبِ ، وتمتلئ الحدائق بالورود ، وتصدحُ العصافير بالتغاريد ، كلّ أسباب السّعادة حاضرة تخلو بكَ لو فتحت نوافذ قلبكَ ، وإلى الضياء اهتديت .

❁ ❁ ❁

أيّها العاشقون المفرطون برقّتهم ، الملوّعون بلهفتهم ، المجروحون في قلوبهم ، لا تسرفوا بكلّ ما تملكون من مشاعر ، فالضعف يحرقه الوجد ، ويضنيه العشق ، ويهلكه الهوى .

❁ ❁ ❁

الشفاء من الألم والكآبة يحتاج العزيمة لهجرة الملل الذي يحملنا إلى الفراغ .

❁ ❁ ❁

السّعادة : أن نواسي العاجزين ونرحم البائسين ، أن نعطي ولا نمنع ، أن نكون رحماء ، فإنّ الصالحين إذا ذكروا فخير مكان يذكرون به هو الملأ الأعلى .

❁ ❁ ❁

أحسنِ المعاملة ولا تجعل اليأس يعترض سبيلكَ ، ولا تأسفنّ على معروف قدّمته ، فلست أوّل وآخر من يواجه الشرّ بالطيب ، وتكبّده إساءة .

❁ ❁ ❁

الحياة ليست روضة مفروشة بالزهور، ولا طريقاً معبّداً بالحرير والعطور، ولا أمان تأتيك وأنت جالس في القصور ، ولا أحلاماً ينقلها تغريد العنادل والطيور ، الحياة استقامة بعد تعثّر ، سعيٌ بعد انكسار، نجاح بعد تكاسل ، ثقة بعد فشل .

❁ ❁ ❁

الناس صنفان : صنف يعظكَ بإخلاص ، وصنفٌ يمدحك بمكر ليزيدك إهانة واحتقار .

❁ ❁ ❁

الكتابة ترجمة بلغة عفويّة تعبّر عن صدق الأحاسيس في ترويض القلم على تنفّس سعادة السعداء ، وأنين المحزونين .

❁ ❁ ❁

الخيال الشعريّ لا يغيّره ولا يزيحه من سماء الفكر إلّا خيال يأخذ من نفس السامع صدىً ، ويترك في قلبه أثراً .

❁ ❁ ❁

الحبّ أن يبدأ شعورك ببهاء الحياة إذا ابتسمت ، وإذا أدمعت ، وإذا غضبت .

❁ ❁ ❁

بعض الناس حين ننظر إليهم نحسبهم مبتهجين مسرورين ، يغرّنا جمال وجوههم، ولمعان جبينهم ، وصفاء أديمهم، فلو كشفنا عن أنفسهم ورأينا ما تنطوي عليه من الأحزان والهموم لبكينا بكاء الحزين على حزنه .

❁ ❁ ❁

توقّفت بين اليأس والرجاء ،فعلمتُ أنّي فقدتُ الحبّ لكنّي لم أفقدِ الرجاء ، خضعتُ لتجارب كثيرة في الحياة ، منها ما أثّر في نفسي تأثيراً كثيراً لما كشفته لي من أسرار البائسين ، وخفايا المحزونين ، كما أنّ التجارب علّمتني أن أتلمّس الطّريق الأقصر إلى السّعادة ، فوجدت أنّها تجلو صدأ العقل الإنسانيّ، وتصقل نظرته للحياة ، فكما مع كلّ خيبة هناك أمل لا بدّ منه ، كذلك مع كلّ سقوط هناك نهوض جديد لا بدّ منه لنتابع مسيرة الحياة التي لن تتوقّف إذا توقفت ، ولن تحزن إذا حزنت ، ولن ترثيكَ الرثاء الأخير إذا رقدت .

امض عالي الهمّة طموحاً محبّاً ، وابذل في سبيل ذلك ما تستطيع بذله طلباً لأن تعيش سعيداً ، فهناك من ينتظر أن يتمّم سعادته بسعادتك .

❁ ❁ ❁

التواضعُ أدبٌ ، والكبر سوء أدب .

❁ ❁ ❁

القطار ينطلق فلا تتثاقل باللحاق به .

❁ ❁ ❁

الأمطار وإن توقّفت ؛ فالريح الباردة تنسلُّ من النوافذ إذا لم يتمّ اصلاحها .

❁ ❁ ❁

السخطُ مقبرةٌ مظلمةٌ من مقابر الدنيا ، والرضى سعة رخاءٍ لا تسعه كلّ الدنيا .

❁ ❁ ❁

الحبُّ هو امرأة اختبأت في قلبكَ فنبت حبّها على سكناتك وفي حركاتك كما ينبتُ النور في صدر السّماء .

❁ ❁ ❁

القلوب الجميلة كالمرآة لا تتلقّى إلّا لتعكس .

❁ ❁ ❁

سألتُ صديقي ذات مرّة :

هل تشعرُ بالسعادة ؟

أجابني : وهل السعادة تأتيك فاتحة ذراعيها ؟

قلت : لا

قال : حين تنعم بالرضى تشعر بالسعادة ، وحين تسخط يحاصرك الشقاء ويثقل شعورك بالأحزان والتعاسة ، فكلاهما شعور لا يمضي دون أن يعطي كلّ محتاج حاجته .

❁ ❁ ❁

الحنين يكشف غموض السريرة ، وما اشتملت عليه الأضلع من الوجد ، وما يسمعك قلبك من مكنوناته ، فلو كان للحنين أجنحة ترفرف في الفضاء وشموس الأفلاك لما سقطت من محاجره الدموع في مطارح الغربة .

❁ ❁ ❁

إنّ البراعة والتفوق في الكتابة هي أن يمدّ الكاتب بينه وبين قرّائه جسراً يعبرون منه إلى أفكاره وآماله ومسرح أحلامه ، وأن ينقل صورة مشاعره الفرحة والحزينة وكلّ ما يفيض في صدره من أسليّة أفكاره .

❁ ❁ ❁

الماضي له قابلية حياة دائمة في الذاكرة لا يمحوه سوى الموت .

❁ ❁ ❁

لنا آمالٌ وأمانٍ ننتظرها لا نعرف متى تشرق ، ومتى تفيض بالفرح قلوبنا ، سنبقى على محطة الانتظار نراقب طلوع الأمل ، سعداء أنّنا بالآمال والأماني أحياء ما بقينا .

❁ ❁ ❁

وأنت تكتب وقلبك يفتح نافذته للصّباح ، ينتابك شعور جميل جداً لا يوصف بكلمات ، اذ أنّ الابتهاج الذي يسري في شعوركَ ليعيدها إلى عهودها المزهرة ما هو إلّا انصراف عن كلّ شيء قبيح وبغيض ، فليس في هذا الكون إلّا الحبّ والجمال والخير .

❁ ❁ ❁

الصّلة لا تقطعها المسافات .

❁ ❁ ❁

إذا أردت الحديث عن غيرك ، فاذكر محاسنه كما تحبّ أن تذكر محاسنك .

الذي غرس في قلبك الرحمة والنقاء لا يعجزه أن يخرج منه العبير والريحان .

لا خير في حياة يحياها الإنسان بلا قلب .

نحن لا نبكي على عزيز فقدناه ، نبكي على بقائنا بدونه .

❁ ❁ ❁

لا خير في رفيق درب يتصّنع لك ويجاملك ، كأنّك قطف عسل تحوم حوله روح ذبابة .

❁ ❁ ❁

قد تأخذ منك التجربة القدرة على دقّة التصرف في الأمور، لكنّها تعطيك من الخبرة ضعف ما أخذت .

❁ ❁ ❁

متى تدرك الأسباب تحقّق النتائج .

❁ ❁ ❁

الطفل في بطن أمه يملك الدنيا كلّها ، ويفقد نصفها عند الولادة .

❁ ❁ ❁

للألم حديث طويل في دمعة الرجل .

❁ ❁ ❁

بعض الاعتذارات وجه آخر للخصومة .

❁ ❁ ❁

الضجر إرهاق الفكر فيما لا يغني ولا يسمن .

❁ ❁ ❁

الفكرةُ القيّمة يُصعدُ إليها بالعقل ، والفكرة العقيمة يهبط إليها بالقدمين .

❁ ❁ ❁

يسقطُ القناع ولو استمر طويلاً عند أوّل خلاف في وجهات النظر .

❁ ❁ ❁

الذكرى الجميلة كنسيم عليل تجمع إليكَ فيمن تحبّ شذا عبير الورود والياسمين .

❁ ❁ ❁

الكلمات المؤثّرة لا تجري عليها قاعدة من قواعد علم الصرف والبلاغة .

❁ ❁ ❁

لو علم الإنسان أنّ العمر قصير جداً لما أطال البكاء على أشياء لا قيمة لها .

❁ ❁ ❁

مهما تنقّلتَ من مكان إلى مكان تقصد الراحة والاطمئنان ، فلن تجد مكاناً أكثر أمناً من نفسكَ التي فقدتها .

❁ ❁ ❁

منظر الأزهار في الحديقة هو شعور جميل تحتاجه لينقلكَ شيئاً فشيئاً من عالم الضجيج واختلاط الأصوات ، إلى عالم الخيال اللا متناهي .

❁ ❁ ❁

يقولون : إنّ العصافير تصدح فوق أغصان الأشجار المثمرة فرحاً ، والناس تحزن على لا شيء ، وتبكي بلا سبب ، الخلاف خلاف ترجمة .

❁ ❁ ❁

أحياناً نشعر بالوهن لانشغالنا عن أهم الأمور بأقلّ منها ، فيشتدّ خوفنا واضطرابنا حتّى يخيّل إلينا أنّه عارض من عوارض الجنون قد خالط عقولنا .

❁ ❁ ❁

حتّى لو اصطدمت بالخيبة لا تيأس ، حاول مرّات عديدة، ولا تجعلها الأخيرة .

❁ ❁ ❁

لا تذهب بعيداً لتبحث عن حياة سعيدة ، إنّ لذّة العيش أن تشبع النقص الذي في نفسك .

❁ ❁ ❁

إنّ جمال هذا الكون فوق جمال التصوّرات وفوق صور الخيالات .

❁ ❁ ❁

بعض المواقف وإن تكرّرت لا بدّ أن نحيّيها بأحسن منها .

❁ ❁ ❁

صارحتُ نفسي فكشفتُ نفاق المرائين .

❁ ❁ ❁

الكتابة ليست وقفاً على الكتّاب والمدونين ، كلّ حديث نفس يجول في خاطر كلّ منا ، ونستطيع أن نفصح عنه بأسلوب يظفر بالمعنى ، هو كتابة تكاد تصل إلى اللذّة والمتعة عند قارئها .

❁ ❁ ❁

أسوأ ما يتعرّض له الإنسان أن يفقد التواصل بينه وبين نفسه .

❁ ❁ ❁

كلّ ما مرّ بي من أيّام حياتي لم يكن سوى وقفة أمام المرآة لأرى احتضار السنين .

❁ ❁ ❁

اختاروا ذوي المروءة فإن أخطأوا أحسنوا الاعتذار ، وإن غابوا حفظوا الودّ والأسرار .

❁ ❁ ❁

لا تردّوهم خائبين أولئك الذين يبسطون إليكم يد الأمل الراجي .

❁ ❁ ❁

مهما دلّس وراوغ لا يهنأ مخادع بخداعه .

❁ ❁ ❁

من الغباء أن ينظر الإنسان إلى الأمور الهامة نظرة طيش .

❁ ❁ ❁

أعمالك صفحة في كتاب الحياة سيقرأها القارئون من بعدك فأحسن الكتابة .

❁ ❁ ❁

كان جدّي كلّ ما رأى سرب عصافير يقترب من بيدر القمح ليأكل ما تيسّر له، نصب لهم قناعاً من قماش على هيئة حارس يحرّكه الهواء ليبدو أنّه صائد لا صديق .

هبّت الريح نصرة للعصافير فاقتلعت الحارس كما تُقتَلَعُ المسامير من الخشب، خيّب الحارس آمال جدّي لأنّه لم ينل ما طلب ، إنّ الأقنعة مهما امتهنت من حيل ومكر فلا بدّ أنّها ستسقط عاجلاً أم آجلاً .

❁ ❁ ❁

قالت النحلة للزهرة : لا أسمع صوتكِ تتألّمين ، ولا أشعر برطوبة دموعكِ حين أنخس إبري في جسدك النحيل لأخرج الرحيق ، فلمَ تلتزمين الصّمت ولا تقاومين ؟

ردت الزهرة : الطّيّب أينما حلّ لا يترك إلّا منفعة ، واينما ذهب لا يحمل إلّا طيباً .

❁ ❁ ❁

لو حافظت على آمالك ولم تفرّط بها ، لكنت من السعداء ، فما الحياة إلّا أخذ وردّ ، عطاء وامتناع ، كن ممن يحافظ على الأمل ولا يتنكّر له .

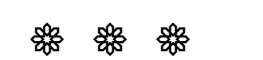

التفاؤل لا يعني أنّك لن تواجه الصعوبات ، ولن تصطدم بالخيبات ، ولن تفشل مرّة أو مرّات ، التفاؤل يعني أنّك عازم على تحقيق الأهداف ،والسعي وراء الأمل دون استسلام أو انكسار .

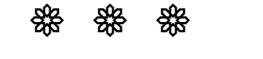

إذا تزعزعت الثقة بمن حولك فسد عليك كلّ شيء .

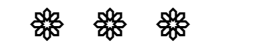

في الغابة على ضفة النهر كانت تعيش زهرة عرفت بصفاء لونها وحسنها وبهجتها ، تحوم حولها الفراشات مسرورة ، وكان بالقرب منها ضفدع حاسدٌ يتمنّى زوال محبّة الفراشات للزهرة ليخلو له المكان ، ولا يُزَاحَمُ فيه ، بدأ يحدثُ ضجيجاً بارتفاع نقيقه المزعج فتحوّلت الفراشات عن الزهرة تبحث عن الهدوء، سمعه طائر جارح انقضّ عليه ينهشه بمخالبه ، فقتله حسده .

❁ ❁ ❁

أصعبُ الخطوات في الحياة الخطوة الأولى ، فإذا خطوناها هان علينا ما بعدها .

❁ ❁ ❁

أصعب اللحظات أن تعيش الحزن في الواقع ، وهو ما يزال من الماضي .

❁ ❁ ❁

كثيرون الذين يمدحون الثّريّ حين يعطيهم بل إنّهم يبالغون في مدحه، فإذا قطع عنهم العطاء نعتوه بصفات سيّئة لم تكن فيه .

مهما عانيت من القسوة والفقر والحرمان فهذا لا يحول بينك وبين الفرح .

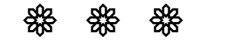

إنّ أعمال الخير والإحسان لا يضيع أجرها، فتذكّر أن تعمل ولا تنتظر .

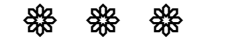

في الغابة يعيش أرنبٌ أبيض اللون ، ذو عينين زرقاوين، متكبّرٌ يتباهى بجماله، كسول يهزأ من أصدقائه، ويعتمد على غيره كثيراً ، و في أعلى شجرة السنديان يعيش سنجاب رماديّ اللون ، نشيط يحبّ العمل كثيراً ، محبٌّ لأصدقائه .

ذات مرّة كان السنجاب يحمل بيديه ثمرة جوز الهند إلى بيته في أعلى الشجرة ، مرَّ بالقرب من الأرنب أوقفه وهو يضحك بسخرية منه ، أعطاه المرآة وطلب منه أن ينظر إلى صورته القبيحة ، وهو يقول ساخراً : ألم تنظر إلى شعرك المجعّد ولونك القاتم ؟

لم يلتفت السنجاب إليه ، وتابع صعوده إلى منزله وجلس يقضم الثمرة بأسنانه ، سمع صوت الأرنب يستغيث ، ويطلب المساعدة لتخليصه من فخّ وضعه الصّيّاد ، فوقع فيه حين كان يسخرُ من السلحفاة ويقلّد مشيتها ، لم يستجب لندائه أحد ، فوقع في شرّ أفعاله .

❁ ❁ ❁

ممّا تعلمته من شؤون الحياة وصروفها وتجاربها : إنّ الفقر لا يموت إلّا على الوجه البشوش مهما كابد من حالات اليأس والحزن .

❁ ❁ ❁

يخيّلُ لمن يستمع للثرثار وهو يتحدّث دون انقطاع ، أنّه نقله من عالم الإدراك إلى عالم مظلم لا ضوء فيه ، ولا أصوات ، ولا سهر و الكلّ هاجع في نومه إلى أن تتوقّف ثرثرته فجأة .

❁ ❁ ❁

من يحمل الحقد في قلبه لا ينعم بشبابه ، ولا يتذوّق حلاوة حياته إلى أن يموت وهو يحمل كدر همّه وحقده وكآبته .

❁ ❁ ❁

العيون التي تتمنّى زوال نِعَمَ غيرها هي عيونٌ لا تشبع ، ولو امتلأت بنعم الأرض وما دفن فيها .

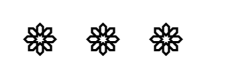

لو كانت السّعادة بالمال لكان كثيرٌ منّا أشقياء .

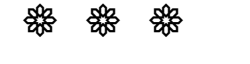

إذا استسلمت للفشل ويئست ، فموتك أفضل من حياتك .

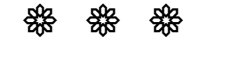

خذ لنفسكَ حظّها من الحياة ، واعمل لدنياكَ وآخرتك ، ولا يحزنكَ بعد ذلك شيئٌ فقد ربحت كلّ شيء .

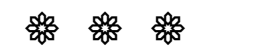

من خدعكَ مرّة سيخدعكَ أخرى ، فكذبُ الأفعال من كذبِ الأقوال .

الليلُ يكتم في صدره أسرار الناس والسيئون لا صدور لهم يفضحون الخفايا وينشرونها .

❁ ❁ ❁

ثمّة صور كثيرة تدور في أذهاننا نستطيع أن نعبّر عن بعضها ، وللأخرى خصوصيّة تبقيها على الدوران بلا توقّف .

❁ ❁ ❁

لكلّ يوم ذكرى ، ولكلّ ذكرى حدث ، والزمن وعاء الأحداث .

❁ ❁ ❁

الخوفُ يتسلّل إلى القلب كلّما توقّفنا عند أوّل فشل .

❁ ❁ ❁

نستطيع أن نبني سعادتنا على أنقاض شقائنا ، فلا شيء مستحيل مع التفاؤل والأمل .

❁ ❁ ❁

أجمل الابتسامات ابتسامة ترفّ على ثغر من نحبّ ، فتموج قسمات وجوهنا بالفرح لتنال لذّة المشتهى .

❁ ❁ ❁

الوجوه المشرقة تلمح فيها سرّاً عجيباً في روعة الحسّ والجمال ، وكأنّ السحر الذي بدأ فيها يبدأ في كلّ نظرة إليها .

❁ ❁ ❁

صباحُ المرهقين المتعبين الذابلة قلوبهم من كدر الحياة ، الباحثين عن شعور يفرحهم ، عن نسمات رقيقة ترفّ على قلوبهم بأنداء ابتهاج يشعرهم أنّهم أحياء .

❁ ❁ ❁

إذا جلست في جوف الليل الموحش بسواده فتذكّر نعمة النور عليك .

❁ ❁ ❁

القلب لا ينسى شيئاً أحبّه ، وشيئاً أبغضه .

❁ ❁ ❁

كلّ الأشياء التي تحيط بنا لا تبعد عنا نحو خطوة من الفكر في إعمال عقولنا للوصول إلى ما لا نعلم .

❁ ❁ ❁

الحقيقة الجميلة تترامى من أفق جميل إلى أفق أجمل .

❁ ❁ ❁

المغفّلُ من لا يألفُ ولا يؤلف .

❁ ❁ ❁

في حياة كلّ إنسان منّا ومضة منيرة متلألئة تضيء لحظاته ، تشعره بالابتهاج والسعادة، وما أن يخبو ضوء هذه الومضة عنه وينطفئ بريقها، حتّى تراه يتعثّر في ظلمات الحياة الدامسة منهكاً بائساً يبحث عن وميض أمل يعيده إلى عهده المنير، فالأمل هو المرشد الذي نتتبّعه ولو كان بصيصاً يلمع من بعيد .

❁ ❁ ❁

الحياة التي نعيشها لا تنفع أن نقضيها مجرد أظلال وحسب، فلا شك أنّ هناك آمالاً تراودنا لنعيش حياة مليئة بالحبّ والسعادة .

❁ ❁ ❁

الطّريق الذي رسمناه للوصول إلى هدفنا النبيل من الخطأ أن نحيد عنه ، ولو تعثّرنا ببعض العراقيل .

❁ ❁ ❁

حبُّ الذات يمنعنا التضحية ، ويحجبنا عن رؤية بهاء الإيثار وحسنه، فهو دائماً ينحدر بنا نحو الخسارة .

لا تضع العراقيل بينك وبين من تحبّ كمن يقطع حبل الأمل بسكّين .

حاول أن تلتمس المعاذير لكن لا تنتظر بلا أمل .

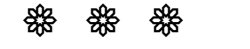

لا شيء في هذه الحياة ليس له قيمة ، فكلّ الأشياء التي تعكسها مرآة نفوسنا جديرة بالاهتمام .

❁ ❁ ❁

قد نمرّ ببعض الأمور على عجل ، لكن نظرتنا إليها لا تمنعنا من أخذها بعين الجديّة والصواب .

❁ ❁ ❁

لا تستخفّوا بتيار النسيان ، فإذا ثار جرف معه كلّ ما تكتمه الذاكرة .

❁ ❁ ❁

الفهرس

صفحة

٤ ـــــــــــــــــــــ ٦ مقدمة الناشر

قصص قصيرة

٨ ـــــــــــــــــــــ ٩ خيالٌ طفوليّ

١٠ ـــــــــــــــــــــ ١١ الحكيم

١٢ ـــــــــــــــــــــ ١٤ اليتيم

١٦ ـــــــــــــــــــــ ١٧ رسالة

١٨ ـــــــــــــــــــــ ١٩ نومة خفيفة

٢٠ ـــــــــــــــــــــ ٢١ الإخلاص

٢٢ ـــــــــــــــــــــ ٢٤ في الحانة

٢٦ ـــــــــــــــــــــ ٢٨ المعروف

٣٠ ـــــــــــــــــــــ ٣٢ هذه قصتي

٣٤ ـــــــــــــــــــــ ٣٦ الأمانة

٣٨ ـــــــــــــــــــــ ٣٩ الحطّاب والثعبان

٤٠ ـــــــــــــــــــــ ٤١عقوق

٤٢ ـــــــــــــــــــــ ٤٤ خطوة نحو الجنون

٤٦ ـــــــــــــــــــــ ٤٨ الرحمة

٤٨ ـــــــــــــــــــــ ٥١ على مشارف القرية

٥٣ ـــــــــــــــــــــ ٥٤ درس القراءة

٥٥ ـــــــــــــــــــــ ٥٨ اليوم الموعود

٥٩ ـــــــــــــــــــــ ٦٠ شاطئ الذكريات

٦١ ـــــــــــــــــــــ ٦٤اليوم الأخير

٦٥ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ ١٢٣ رسائل قصيرة